مقصد النسل في الصراع العربي الصهيوني دراسة أصولية سياسية

د. سامي محمد الصلاحات*

* أستاذ مساعد بكلية الإمام مالك للعلوم الشرعية والقانونية في دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة.

ملخص البحث:

الحديث عن مقاصد الشريعة وأهدافها له مكانة عظيمة في نفوس العلماء والمفكرين والباحثين، إذ به تُعرف حقيقة الأحكام ومآلاتها، ويزداد الأمر أهمية وحضوراً عند مواجهة المستجدات التي تعصف بالأمة على شتى الصعد والمستويات، ويزداد أمر المقاصد أهمية وخطورة عندما نريد أن ننزل الأحكام الشرعية على مظان الوقائع والمستجدات الحديثة، وفي البال: أن الوقائع السياسية المعاصرة، لها من الخطورة والأهمية ما يجعل دارستها من منظور مقاصد الشريعة الأفضل والأحكم.

وفي دراستنا – هذه – سنحاول قدر الإمكان تجلية أهمية القراءة المقاصدية الأصولية في دراسة أبعاد القضية الفلسطينية، وهذا البعد له علاقة وثيقة بمقصد "النسل" أو "العرض"، كما يقول الأصوليون، لا سيما وأن الصراع السكاني أو الديموغرفي Demographic هو أحد أوجه الصراع العربي الصهيوني.

ولقد أصبحت المشكلة السكانية، أو ما يتعارف عليها البعض بـ "قنبلة موقوتة" تهدد مستقبل الكيان الصهيوني، وبالتالي وجب على الباحثين النظر فيها عن قرب وسبر أغوارها؛ لأنها – في النهاية – سيكون لها دور في تحديد مسار الصراع العربي الصهيوني، في ظل أنباء تتحدث عن أن الشعب الفلسطيني سيصل إلى حالة توازن ديموغرافي مع اليهود مع حلول العام ٢٠٠٦ على الرغم من موجات الهجرة اليهودية.

دراستنا هذه، ستركز على بعد النسل أو الخطر السكاني ما بين العرب والصهاينة، من خلال قراءات الدراسات السكانية الصادرة حديثاً، والنظر إليها من منظار "مقاصدي" أصولي.

لذا، ستقسم هذه الدراسة إلى عدة مباحث، نحسب أنها ستغطي الموضوع من جميع أطرافه، وهي:

- المبحث الأول: مقصد النسل عند علماء الشريعة والأصول
- المبحث الثاني: توصيف الوضع السكاني بين العرب والصهاينة
- المبحث الثالث: مقاصد أصلية في الصراع السكاني بين العرب والصهاينة

المقدمة:

لا إله إلا الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، عدةٌ للقاء الله عز وجل، وبعد:

في هذه المقدمة، يلزمنا التأكيد على عمق النزاع العربي الصهيوني، وأنه نزاع مرتبط بأسس دينية وحضارية، على الأقل عند المسلمين، الذي يرون في صراعهم مع اليهود، صراعاً بين الحق والباطل، ولعل في النزاع السكاني صورة من صوره، وله دور – بلا شك – في مسار هذا الصراع وتحركاته.

ولأننا نؤمن إيماناً جازماً بأن السلطة السياسية هي ضرورة شرعية، وتَتْبعُ للمقاصد الشرعية لأي مجتمع إسلامي يريد أن يقوم بدور الخليفة على الأرض، وهذا ما دفع علماء الشريعة – سابقاً – إلى تأسيس علم يسمى بـ " السياسة الشرعية"، وهو – في ذاته – علم قائم على أسس علم أصول الفقه وأدلته وفقه الواقع.

ومن هنا تأتي قراءتنا لهذا النزاع السكاني من نظرة مقاصدية أصولية، لأن تعريض قضايانا السياسية لمنظور شرعي أصولي، سيسهم بلا شك في قراءة أفضل للواقع والمشكل السياسي المعاصر، مرتبط بالنظرة المقاصدية الأصولية المستمدة استقراءاً واستنباطاً من النصوص الدينية اليقينية، والتي هي غاية ما يبحث عنها المسلم، ويعيش لأجلها فكرة ووجوداً. وهذا ما عناه الإمام الجويني ٤٧٨ هـ عندما قال:" والركن الأعظم في الإيالة – أي السياسة –: البدايةُ بالأهم فالأَهم، وعلى هذا الوجه تترتب منابذة الكفار، ومقاتلتهم"[(١)].

هذه النظرة المقاصدية لطبيعة الصراع العربي الصهيوني، يلزمها النظر بعناية ودقة في فهم أولويات هذا الصراع ومقاصده، كما يقول الجويني رحمه الله: "ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي، فليس على بصيرة في وضع الشريعة"[(٢)].

---

(١) الجويني، غياث الأمم في التياث الظُلَم، تحقيق: عبد العظيم الديب، (قطر: مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ)، ص١١١.

(٢) نقلاً عن الريسوني، من أعلام الفكر المقاصدي، (بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠٣)، ص٢٣.

لأن إغفال هذا الفقه سيترتب عليه آثار سلبية، من أبرزها – على سبيل المثال –: الابتعاد عن جوهر الصراع مع الصهاينة، كالتنازع بين القوى الفلسطينية والعربية في وقت الأصل فيه أن يكون القتال موجه للمحتل الصهيوني، أو تعطيل الجهود المبذولة لطرد المحتل، بل إن اللبس في ترتيب الأولويات سيؤدي بلا شك إلى الابتعاد عن مناخ الإبداع والابتكار في صفوف المقاومة والعاملين في المشروع الإسلامي، وهذا مظهر واضح من مظاهر عدم الأخذ بالأسباب، وبروز ظاهرة "التكلان" في واقعنا العربي والإسلامي المعاصر، بعد متواليات الهزائم على يد المشروع الاستعماري الغربي الصهيوني.

كما أن مظاهر الابتعاد عن القراءة المقاصدية للقضية الفلسطينية أو الصراع العربي الصهيوني سيترتب عليها انشغال عموم جماهير الأمة بالشعارات المزيفة، أو اللافتات الدخيلة: كالرايات العلمانية واليسارية، والتي اضمحلت نوعاً ما في عصر الصحوة الإسلامية وريادة الخطاب الإسلامي على فصائل المقاومة الفلسطينية والقوى الشعبية العربية والإسلامية.

ومنها كذلك: التبريرات الدائمة، أو ما يطلق عليه بالخطاب التبريري لكل هزيمة أو غفلة عن مواجهة العدو الصهيوني، هذا الأمر مرده بلا شك إلى الخلط وعدم الدقة في القراءة التحليلية والاستشرافية للمستقبل.

ولقد أكد الأصوليون المقاصديون على هذه النظرة في الأحكام العملية، ومن الأحكام العملية: مسائل السياسة والاقتصاد والاجتماع، المتعلقة بأعمال المكلفين، فلقد كان لهم مراعاةٌ للنظرة الاستشرافية للأحداث، وهذا ما عُبر عنه أصولياً بـ"اعتبار المآلات"، ويشرحه الشاطبي ٧٩٠هـ بقوله:" النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل"[٣].

(٣) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرحه: عبد الله دراز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.ت.)، مج٢/ ٥٥٢.

ولعل من أهم الآثار السلبية التي يمكن أن نلمسها في إقصاء القراءة المقاصدية: اللبس بين الثابت والمتغير في القضية الفلسطينية، وبين القطعي والظني في الصراع العربي الصهيوني، فما كان يُقرأ في الإعلام والأدبيات "الثورية" قبل ثلاثة عقود على أنه جهاد ونضال ومقاومة، أصبح الآن – في عرف بعض الثوريين – إرهاباً، وضد المصلحة الفلسطينية العليا (!)، ولما كان السلام مع الصهاينة يعتبر خيانة، أصبح الآن من مقتضيات المرحلة، وضمن سياسية إنقاذ ما يمكن إنقاذه، أي التبست على أذهان الكثير من المتابعين والمنظريين خطوط الثابت والمتغير، – أو أصولياً القطعي والظني – وهذا ما كان ليكون لولا الغفلة عن القراءة المقاصدية لملف القضية الفلسطينية.

كما أن من مستلزمات التغافل عن البحث المقصدي لواقع القضية الفلسطينية لأكثر من نصف قرن: تقديم المصالح الأقل نفعاً على المصالح الأكثر نفعاً، والأصول المرعية والمقاصد المتبعة: هو أن الأكثر مصلحة أولى بالتقديم من الأقل مصلحة، كما يقول العز بن عبد السلام ٦٠٦هـ:" إذا تعارضت المصلحتان وتعذر جمعهما، فإن علم رجحان إحداهما قدمت"، أو الأكثر مفسدة أولى بالدرء من الأقل مفسدة(٤).

وهذا واقع في تاريخ النضال الفلسطيني بشواهد كثيرة لا تحصى، يكفي للتدليل على ذلك الصراعات الجانبية بين منظمة التحرير الفلسطينية وبعض الأنظمة والأطراف العربية، كما حدث في حرب أيلول في الأردن عام ١٩٧٠، أو الحرب الأهلية اللبنانية، وترك المجال للدولة الصهيونية في التمدد والازدهار.

كما أن من الآثار السلبية لذلك: أن أحكام المقاصد لم تكن أولى من أحكام

---

(٤) ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق: نزيه حماد وعيسى ضميرية، (دمشق: دار القلم، ط١، ٢٠٠٠)، ٨٧/١، ابن نجيم، الأشباه والنظائر، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٩٩٩)، ٩٨، محمد الوكيلي، فقه الأولويات، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٧)، ص١٩٩، جمال الدين عطية، نحو نفعيل مقاصد الشريعة، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠١)، ص١٢٦.

الوسائل في بعض مراحل تاريخ الصراع العربي الصهيوني، فالوسائل كان لها نصيب أكبر من حجم مقاصدها، وللتدليل على ذلك، مسالك المفاوضات والاتفاقيات مع العدو الصهيوني، والتي مارستها أنظمة عربية ثم السلطة الفلسطينية، كان الاحتجاج العلني بأنها السبيل الوحيد للتحرير، والمقصد لإعادة الأراضي المحتلة، ثم صارت بعد ذلك مقصداً وغاية للسياسيين ومروجي الحل السياسي.

وكما يقول ابن القيم ٧٥١هـ:" لما كانت المقاصد لا يتوسل إليها إلا بالأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن بها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل"(٥).

كما يلزم القائمين على أمر الصراع، أن لا يتغافلوا – قدر الإمكان – عن التجارب والعادات التي مر بها الصهاينة، لأن معرفة ذلك والتواصل معه. عن كثب وقرب، – يجعلنا أكثر دراسة ودراية بإدارة الصراع معه، فتجربته المخزية بالانسحاب من جنوب لبنان مايو ٢٠٠٠، وأزماتها الاجتماعية المتعددة، تجعل من الطبيعي قراءة أوسع لهذه التجارب والعادات؛ لتكون لنا المبادرة في تحديد آليات الصراع معها، وغيرها من الآثار السلبية التي تعرضت لها قضية المسلمين الأولى.

ومن أجل قراءة أفضل وأدق لإشكاليات صراعنا مع الصهاينة، سنتعرض لمقصد النسل أو الصراع السكاني بين العرب والصهاينة من منظور مقاصدي، لعلنا نصل إلى مقاصد أصيلة، تعين في فهم مرامي وأبعاد هذا الصراع الحضاري.

---

(٥) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه سعد، (بيروت: دار الجليل، ١٩٧٣م)، فصل في سد الذرائع، ٣/ ١٢١، محمد الوكيلي، فقه الأولويات، ص٢٣٨.

أي أننا – ونحن نخوض الصراع مع الصهاينة على أرض فلسطين المباركة – يجب أن نؤمن بضرورة اصطحاب المنهج المقاصدي أو بأهمية القراءة المقاصدية للأحداث، لأننا به يمكننا تكييف بعض المواقف والأحداث، والاختيار بين البدائل والتبني لأفضلها، من خلال الموزانة بينهما على أسس شرعية، مثل مفهوم الضرر، والمصلحة، والمفسدة، وغيره من الرؤى الشرعية المعتبرة، وبالمنهج المقاصدي يمكننا ترتيب مواقفنا وقراراتنا للأمور والأحداث، وهذا كله يساعدنا بلا شك في تقويم السياسات الكلية على مستوى الحركة أو الممارسة على نطاق الفرد أو الجماعة أو الأمة [٦].

فمنذ أن صدر "قانون العودة" الصهيوني في العام ١٩٥٠، والذي ينص على أنه "يحق لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل"، متزامناً مع أكبر تشريد وطرد جماعي لشعب مسلم أعزل في القرن العشرين، والعقلية الصهيونية تدرك جيداً ضرورة معالجة الخطر السكاني العربي في أرض فلسطين، لا سيما وأن همَّ إقامة دولة "إسرائيل" الكبرى ما زال مهيمناً على الفكر الصهيوني إلى يومنا هذا.

ومعدلات الزيادة العالية – الطبيعية – عند العرب، مقابل الهجرة اليهودية إلى فلسطين والتي مثلت في فترة من الفترات عموداً أساسياً في قيام الكيان الغاصب، وبناء مجتمعه، إذ كانت نسبتهم في بداية عهد الانتداب سنة ١٩١٨ تبلغ ٨٪، ثم ارتفعت إلى ٣١,٥٪ في نهايته عام ١٩٤٨ – ما هي إلا صورة كاشفة لمدى المعركة الواقعة بين الطرفين، حيث هناك نمو طبيعي عند السكان العرب، مقابل خوف وهاجس من المستقبل عند الصهاينة، فترى المزيد المزيد من المحاولات لاستقبال اليهود من شتى أنحاء العالم.

وما زالت النظرة الصهيونية تراقب الوضع السكاني العربي عن كثب

---

(٦) قارن مع: سيف عبد الفتاح، المدخل المقاصدي وفقه الواقع، ضمن بحوث مؤتمر نحو فقه سديد لواقع أمتنا المعاصر، (الإمارات: مركز بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٣)، ٢/ ٥١.

بدراسات وأبحاث ومؤتمرات تنادي بضرورة معالجة الوضع السكاني في أقرب وقت ممكن، لأن تأخير المعالجة سيكون له آثار سلبية و أضرار جانبية على وضع المشروع الصهيوني.

وإن ما طرح مؤتمر هرتسليا – وهو المؤتمر الأول العلني الذي يدرس التحديات والمخاطر الاستراتيجية التي تواجه الكيان الصهيوني، والذي عُقد في شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٠، أي بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، وتمحور أغلب مناقشاته حول ما يسمى بـ"الخطر الديمغرافي الفلسطيني"، وتنشيط الهجرة اليهودية – ليدل بصورة أساسية وواضحة إلى مدى الخطورة التي يسببها التزايد السكني العربي على أرض فلسطين.

ولعل في محاولة الصهاينة إلغاء الهوية العربية والإسلامية في فلسطين، وتهويد البلاد والمقدسات، من خلال طرد السكان العرب الأصليين وإحلال الصهاينة من الشتات مكانهم، أي اعتماد المجتمع الصهيوني على الهجرة الوافدة في نموه مقابل اعتماد المجتمع العربي على المواليد والشكل الطبيعي للتناسل.

هذا الكسب اللاشرعي في حصول الصهاينة على مواطنين يهود جدد، جاء منسجماً مع ما تبناه مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتسل في كتابه "دولة اليهود"، وهو فكرة إقامة دولة تجمع يهود العالم، وفي المؤتمر الصهيوني في بازل (سويسرا) ١٨٩٧ تم التأكيد على أنّ الهجرة هي الشريان الذي يغذي الدولة الجديدة بالقوى البشرية – ما يقتضي البحث عن اليهود حيثما وجدوا أولاً وقبل كل شيء.

وهذا ما أدركه الصهاينة منذ عهد الاحتلال وقبله بسنوات ليست بالقصيرة، فبدأت بموجات من هجرة الصهاينة إلى فلسطين(٧).

---

(٧) انظر: محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، (ماليزيا، دار الفجر، ط١، ٢٠٠٣)، ٩٥ وما بعدها، يوسف إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، نقلاً عن موقع باحث: www.bahethcenter.org

وقد كان يقدر عدد اليهود في فلسطين عام ١٨٨٢ بنحو ٢٤٠٠٠ يهودي، معظمهم من رجال الدين، ومن الأقلية اليهودية المستعربة التي لم تغادر نابلس والمعروفة باسم السامرية، وعند صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٨، بدأ تدفق اليهود بالآلاف، وارتفع عددهم إلى ما يقرب من ٦٢,٥ ألف شخص عند بداية الانتداب البريطاني، وإلى ما يقرب (٦٥٠) ألف شخص عند نهاية الانتداب عام ١٩٤٨[٨].

ولقد كانت النكبة – كما يسميها أهل فلسطين – وهي احتلال الصهاينة أرض فلسطين عام ١٩٤٨، نقطة التحول في هذا الصراع الديموغرافي، إذ هناك صورتان:

صورة شعب يُطرد من أرضه ووطنه، فقدر عدد اللاجئين بما لا يقل عن ٩٠٠ ألف شخص، والسبب واضح، المجازر الدموية التي ارتكتب في حق أبنائه[٩]، وصورة أناس غرباء يأتون من كافة أصقاع الأرض للاستيطان والتملك، وهنا ترسم الصورة، التي نادى بها الصهاينة:" أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

وبعد النكبة، تم تقسيم فلسطين إلى ثلاثة مناطق جغرافية[١٠]:

١ – هي الأراضي التي احتلها اليهود بعد حرب عام ١٩٤٨، وأقاموا دولتهم عليها، وقد شغلت ٧٦,٧ ٪ من مساحة فلسطين.

٢ – الضفة الغربية وتشغل ٢٢ ٪ من مساحة فلسطين، وانخفض عدد السكان في الضفة إلى ٥٨١,٧٠٠ نسمة.

---

(٨) انظر: محسن صالح، دراسات منهجية، ص ٩٥ وما بعدها، يوسف كامل إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين.

(٩) لمزيد من قراءة أوسع للمجازر ودورها في طرد الفلسطينيين، انظر: محسن صالح، دراسات منهجية، ص ١٤٠.

(١٠) محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص ٩٨، يوسف كامل إبراهيم، المرجع السابق.

٣ – قطاع غزة ويشغل ١,٣ ٪ من مساحة فلسطين، وانخفض عدد السكان في القطاع إلى ٩٣٧,٦ ألف نسمة.

واتبعت السلطات الصهيونية أسلوب الاستعمار الاستيطاني لطرد السكان العرب من ديارهم، ودمرت بعد قيامها عام ١٩٤٨ (٤٧٨) قرية من أصل ٥٨٥ قرية عربية كانت موجودة، ونتيجة لذلك انخفضت نسبة السكان العرب من ٥٢٪ بعد قيام دولة الاحتلال مباشرة إلى ١٢,٩٪ عام ١٩٥٠[١١].

وفي عام النكسة ١٩٦٧، تم تشريد وتهجير ما يقرب من ٤٠٠ ألف فلسطيني من الضفة الغربية، ونحو ٥٠ ألف من قطاع غزة، واستمرت عملية التهجير – بعد ذلك – فيما بين نهاية عام ١٩٦٧وعام ١٩٧٩ فقد بلغ عدد الذين هجروا ونزحوا من الضفة الغربية وقطاع غزة نحو ٣٥٤ ألف مواطن وذلك بمعدل سنوي ٢٩,٥٠٠ فلسطيني[١٢].

وهذا يشير إلى مدى مفهوم الترحيل والطرد في العقلية الصهيونية، وأن عمليات التهجير للفلسطينيين لم تكن هجرة طوعية كما تشير آلة الإعلامية الصهيونية.

---

(١١) عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠١)، ص(٢٧٥- ٣١٧).

(١٢) محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص ٩٨، يوسف كامل إبراهيم، المرجع السابق.

المبحث الأول
مقصد النسل عند علماء الشريعة

المقاصد: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص في أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها(١٣).

وهي – كذلك – أهداف الشريعة الإسلامية أو مراميها أو أسرارها، هي كلها مسميات لغرض أسمى وأعلى، وهو فهم الشريعة الإسلامية كما أرادها الشارع الكريم، من غير اعتناء وتكلف بالشكليات أو الجزئيات على حساب الجوهر أو الكلي، ومن دون مبالغة وإفراط في الجوهر والكلي على حساب الشكليات والجزئيات.

وعلى حد وصف الشاطبي ٧٩٠هـ:" وكما أن من أخذ بالجزئي معرضاً عن كليه فقد أخطأ، فكذلك من أخذ بالكلي معرضاً عن جزئيه "(١٤).

وهي خلاصة الشريعة، ومراد الخالق سبحانه(١٥)، وبها يمكن "نخل الشريعة من مطلعها إلى مقطعها، وتتبع مصادرها ومواردها، واختصاص معاقدها وقواعدها، وإنعام النظر في أصولها وفصولها "(١٦).

---

(١٣) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، تحقيق: محمد الميساوي، (عمان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١)، ص٢٥١.

(١٤) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مج٢/٧، الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص٣٧١.

(١٥) يقسم علماء الأصول مقاصد الشريعة إلى: مقاصد الخالق من الخلق، وهي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كما ورد في نصوص الشريعة وأحكامها. مقاصد الخالق من التشريع، وهي الغاية التي يرمي إليها التشريع، والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم. يوسف العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، (القاهرة: دار الحديث، ط.ت)، ص٨٢.

(١٦) ابن تيمية، الفتاوى، ١٦٧/١٨، نقلاً عن يوسف البدوي، مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن تيمية، (عمان: دار النفائس، ط١، ٢٠٠٠)، ص٤٧٨.

وهذه المقاصد – بذاتها – مصالح للشريعة معتبرة ومقصودة، مع ملاحظة أن المصالح التي ينادي بها البعض، وأن الشرع أراد المصلحة " حيثما وُجدت"، فهذا الكلام لا يقبل بعمومه، وإنما إذا تحقق المقصد الشرعي في الحادثة أو الواقعة، فهنا ينظر إلى المصلحة نظرة اعتبارية ومحترمة.

وكما أنه ليس من المعقول بأن نقبل بكل مصلحة رآها الفرد منا، بل إن المصالح بعضها يصادم بعضاً، وأن منها مصالح ضرورية، وآخرى تكميلية أو تحسينية.

وكل هذه المصالح القائمة على العدل هي مصالح معتبرة في الشرع، لأن أمر العالم في الشريعة – كما يقول ابن تيمية – مبني على العدل في الدماء والأموال والأبضاع والأنساب والأعراض(١٧).

فالمصالح الضرورية، وهي محل الدراسة هنا، مما لا بد من قيامها والمحافظة عليها، لصلاح الدينا، وانتظام أحوال البشر والمكلفين، وقد ذكر علماء الأصول ذلك في مدوناتهم ومؤلفاتهم، وحصروها في خمسة مقاصد أو مصالح ضرورية، سموها بالضروريات، وهي:" الدين، النفس، العقل، النسل، المال".

كما يقول الغزالي ٥٠٥هـ:".. نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"(١٨).

وهذا ما أراده الجويني حيث قال:" الغرض استيفاء قواعد الإسلام طوعاً أو كرهاً، والمقصد الدين"(١٩).

وإذا نظرنا إلى تقسيم علماء الأصول ومنهجهم في الاستدلال، رأينا أنهم

---

(١٧) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٣٩٧.

(١٨) الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق وتعليق: محمد الأشقر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧)، ٢/٤١٦.

(١٩) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص١٨٣.

اعتبروا هذه المصالح والمقاصد الضرورية، من واقع اعتبارات ثلاثة: "ضرورية" و"قطعية" و"كلية"، وهذه الاعتبارات هي التي ساقتهم للقول بها[٢٠].

مقصد النسل

يعتبر مقصد النسل – أو النسب أو العرض أو البضع كما يقول بعض الأصوليين[٢١] – من المقاصد الكلية الضرورية في شريعتنا الإسلامية الغراء، ومعناه كما يقول العرب أن النسل جاء من: نَسَل نَسْلاً، من باب ضرب، أي: كثر نسله، ويطلق على الخلق والذرية، وتناسل القوم توالدوا.

وكي نفهم كلام الأصوليين أو المقاصديين حول النسل، نرى أنهم قد بحثوه من طريقين[٢٢]:

(الأول) تحصيل المصلحة في النسل، وهذا لا يكون إلا من خلال طريق شرعي، تعارف عليه الناس، وهو الزواج الشرعي الصحيح، فهو بذاته عبادة؛ لأنه يحقق مقاصد أرادها الله تعالى من عباده، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ سورة النساء، ٣، وقال صلى الله عليه وسلم:" تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة "[٢٣].

وغيرها من النصوص القرآنية والحديثية التي تشير بمجموعها إلى أن

---

(٢٠) انظر كتابنا: القطع والظن في الفكر الأصولي، (الكويت، مكتبة الفلاح للتوزيع، ط١، ٢٠٠٣)، [فصل: إشكالية القطع ومقاصد الشريعة الإسلامية].

(٢١) انظر: أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، ١٩٩٥)، ص٦٢، عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص٢٩، ١٤٠.

(٢٢) يوسف العالم، المقاصد العامة، ص٣٩٣، أيضاً: يوسف البدوي، مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن تيمية، ص٤٧٣.

(٢٣) انظر: مصنف عبد الرزاق، كتاب النكاح، باب وجوب النكاح وفضله، رقم الحديث، (١٠٣٩١)، وفي رواية للبيهقي، "ولا تكونوا كرهبانية النصارى"، سنن البيهقي، كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح، رقم الحديث، (١٣٧٤٢).

الزواج هو الطريق الأسلم والأحكم لتحقيق مصلحة النسل كما أرادها الله سبحانه، وحكمه في الإسلام – بالعموم – الحث عليه، والندب بالتعجيل به.

والذي يدل عليه في الشريعة أن الزواج والإشهاد عليه ورعاية الذرية والإنفاق عليهم من الواجبات والمندوبات التي دعت إليها الشريعة.

(الثاني) دفع المفاسد عنه، إذا كان الزواج هو الطريق الصحيح والسليم لجلب مصالح المقصد الضروري وهو النسل، فإن هناك طرقاً متعددة خلافاً للزواج هي محل جلب المفسدة على المكلفين، بسبب عدم التزامهم بالأحكام الشرعية في مقصد النسل.

والطرق غير الشرعية كثيرة، أبرزها في مقصد النسل: الزنا بجميع أشكاله وأنواعه، واللواط، والسحاق، وأي إطار غير الزواج سيؤدي إلى مفسدة وضرر على المكلف، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ سورة الإسراء، ٣٢، ولهذا رجم الرسول صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك؛ لاقترافه جريمة الزنا(٢٤).

كما أن تحريم الزنا والنهي عن الطلاق لغير الضرورة، كما يرى ابن تيمية بأن الطلاق فيه ضرر في الدين والدنيا، وتحريم كشف العورة، والنظر المحرم والملاهي والاختلاط، مع تحريم إهمال تربية الأبناء.

اليوم، وفي ظل غياب شريعة الإسلام وحضارته العالمية، نرى أن المجتمع الدولي وهو يخالف منهج الله الجبار، قد أصيب بداء عظيم ليس له مخرج، على الرغم من تطور علم الطب إلى مراحل متقدمة، وهذا تصديقاً لحديث نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقي في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم قط، إلا وكثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان، إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق، إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر بالعهد، إلا سلط الله عليهم العدو"(٢٥).

---

(٢٤) مسند الإمام أحمد، حديث أبي سعيد الخدري، رقم الحديث، (١٠٦٠٥).
(٢٥) موطأ الإمام مالك، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول، رقم الحديث، (٩٨١).

ولهذا فلغة الأرقام هي الحكم والفيصل، فقد أشارت تقارير الأمم المتحدة حتى نهاية عام ٢٠٠١ إلى أن حوالي ٤٠ مليون شخص يتعايشون مع مرض الإيدز والعدوى بفيروسه على مستوى العالم، بينما حصد المرض أرواح ٢٥ مليون نسمة حتى عام ٢٠٠٣. وسيكون هناك ٤٠ مليونًا ضحايا الإيدز في أفريقيا بعد ١٠ أعوام، وذكر الخبراء أن عدد ضحايا هذا المرض سيتعدى عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية الذين يبلغ عددهم ٥٠ مليون شخص(٢٦).

أي أن مقصد النسل معتبر، وأن أي اعتداء عليه سيضر بالحياة العامة للمكلفين، وهذا ما لاحظناه في أرقام مرض الأيدز.

في هذا المقصد وغيره من المقاصد الضرورية، فيها مقصد أصلي، ومقاصد تبعية أو ثانوية أو تابعة، فمقصد النسل الأصلي: – على سبيل المثال – إدامة النسل، وعدم اختلاط الأنساب مع بعضها، ومنع الفساد، وهذا ما عناه علماء الشريعة والأصول على لسان الجويني عن مقصد النسل، إذ يقول:" فإنا نعلم أنها لا بد منها، كما أنه لا بد من الأقوات، فإن بها بقاءَ النوع "(٢٧).

وهذا المقصد الأصلي أخذ من نصوص القطعية، وأقصد بذلك نصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة، أو من خلال الأساليب العلمية المنهجية، مثل منهج الاستقراء، والاستنباط، وتتبع العلل، ومداخل الأحكام الشرعية.

واليوم نرى أن الناس بمخالفتهم هذا المقصد الأصلي، أصابهم الفساد في المقتل، وفقدوا معه انتظام النسل والحرث.

---

(٢٦) ومن المتوقع أن يشهد العالم ١٢٠ مليون حالة وفاة بسبب المرض حتى عام ٢٠٢٥م، وأن يكون هناك أكثر من ٢٠ مليون طفل أفريقي سيصبحون يتامى بسبب الايدز بحلول عام ٢٠١٠، مقارنة مع ١١ مليون عام ٢٠٠١، كما أعلن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لمكافحة الإيدز التابع للأمم المتحدة: أن هناك أكثر من ٥٥٠ ألف حالة إصابة بمرض الإيدز في العالم العربي. انظر: موقع إسلام أون لاين. ٢ يوليو ٢٠٠٣، وبتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠٠٠، أيضاً جريدة الشرق الأوسط، ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٣.

(٢٧) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٥١١.

ويلي المقصد الأصلي، مقاصد تبعية "ثانوية"، تقدر بقدرها، مثل طلب السكن أو التعاون الزوجي من مودة واحترام الحقوق والواجبات، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ سورة الروم، ٢١.

كما يقول الإمام الغزالي ٥٠٥هـ:" إن للزواج خمس فوائد، الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بشؤون الزوجات، وإن الولد هو الأصل المقصود، وله وضع الزواج"(٢٨).

وهنا، يجب التنبيه على أن مقصد الشارع الأصلي هو المعتبر والمعيار الصحيح في قبول الأحكام أو النظر في النوازل، فزواج المتعة وغيره من الأنكحة المختلفة، يُنظر إليه في أنه يخالف تحقيق مقصد الشارع الأصلي، ووهو التناسل، لذا رُفض ما يسمى بزواج المتعة، لمعارضته المقصد الأصلي للزواج؛ لأن فيه قصر المدة وتحديدها بأجل، ومقاربته لشبهة الزنا، وكأن الزوج أراد من الزوجة قضاء متعة ليس إلا، وما كان مقصده بناء أسرة أو إنشاء ذرية صالحة.

في بحثنا هذا، سنتعرض إلى مقصد النسل، لكن من إطار سياسي حضاري، سياسي حيث النزاع مع الصهاينة على أشده، وحضاري، لأننا نؤمن أن الصراع معهم له أبعاد أكثر من أنها حدود وتضاريس جغرافية، لا يعلمها إلا من أدرك أهمية موقع هذه الأمة، كما قال الله تعال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ سورة آل عمران، ١١٠، وعطاءها الحضاري المتدفق.

هذا الصراع له صور كثيرة، من هذه الصور: الصراع السكاني، فكيف نفهم هذا في إطار الشريعة ومقاصدها. لا سيما وأن لمقصد هذا النسل إشكالية سياسية – وهذا محل دراستنا –، ينتج عنها نظرات وقرارات سياسية

(٢٨) الإحياء، ٢/٢٢، نقلاً عن يوسف العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص٤٠٣.

قد تلحق الضرر والأذى بالمسلمين، وهذا الأمر ليس مقتصراً على مقصد النسل بذاته، بل قد يتعدى ليصل إلى أكثر من مقصد شرعي معتبر في هذا الصراع.

والباحث في شؤون العمل السياسي والشرعي المعاصر، يلزمه النظر بعمق في مدلولات الوقائع والأحداث، وفرز المقاصد الأصلية عن المقاصد التبعية، لا سيما وأن الآلة الإعلامية "المعادية"، لها من القدرة والسيطرة في لفت أنظار وأفهام الناس عن حقيقة الصراع الشيء الكثير.

ويصطحب مع منهج مقاصد الشريعة القدرة على استشراف المستقبل، أو الفراسة كما يسميها علماء الشريعة، وهي: "الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية. وقيل: ما يقع في القلب بغير نظر وحجة"(٢٩).

واعتبر العلماء الفراسة مما يعين في استخراج الحقوق في القضاء، ورد حقوق العباد، إذا ظهر الدليل مؤيداً لصحة الفراسة، كما يقول ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ: "ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون الحقوق بالفراسة والأمارات فإذا ظهرت– البراهين والأدلة على صحة الفراسة–لم يقدموا عليها شهادة تخالفها ولا إقراراً"(٣٠).

ولا بد للقائمين على أمر الصراع مع الصهاينة أن يكونوا على مستوى متقدم من الفراسة في معرفة خبايا الصراع السكاني وأثره على واقع المجتمع العربي، كما يقول الدهلوي ١١٧٦هـ:"ولا بد للملك من فراسة يتعرف بها ما أضمرت نفوسهم، ويكون ألمعيّا، يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع"(٣١).

---

(٢٩) المجددي، قواعد الفقه، (باكستان: لجنة النقابة والنشر، ط١، ١٩٦١م)، ص٤٠٨، الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، راجعه: عبد الرؤوف سعد، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٣)، ص٨٧.

(٣٠) ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٢٤، بدائع الفوائد، (بيروت:دار الكتاب العربي، ط.ت.)، ٣/ ١١٧.

(٣١) الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: السيد سابق، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط.ت.)، ١/ ٩٠.

من هنا، يجدر بنا العناية بفهم أوسع لدور مقاصد الشريعة في تجلية قضايانا السياسية وتنظيراتنا للأحداث والرؤى العالمية، وأن يكون لها مجال أوسع وأشمل في التنظير والعمل على فهم أسس الصراع مع أعداء الأمة، لا سيما اليهود، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ سورة المائدة، ٨٢.

وكما يقول الإمام الشاطبي ٧٩٠هـ رحمه الله في كتابه الاعتصام حيث ينبه على أهمية علم المقاصد أو كليات الدين: "أن تكون عند المجتهد نصب عين، وعند الطالب سهلة الملتمس"(٣٢).

ستكون قراءتنا منصبة على أهمية النسل ودوره في الوقوف أمام التحديات والمخططات الصهيونية على أرض فلسطين، إذ – وبعد الاستقراء والنظر في معطيات القضية وجزئياتها – يتبين لنا أهمية الوجود السكاني العربي في وجه الوجود السكاني الصهيوني، وأن العمل على زيادة عدد العرب والإكثار من سواد المسلمين في أرض فلسطين مقصد شرعي معتبر، مقابل العمل على خفض أعداد الصهاينة بكل الطرق والوسائل المتاحة.

(٣٢) الشاطبي، الاعتصام، (بيروت: دار المعرفة للنشر، ١٩٨٢)، ١/٣٨.

المبحث الثاني
توصيف الوضع السكاني بين العرب والصهاينة في فلسطين المحتلة

للحديث عن توصيف الحالة السكانية لكل من العرب أو الصهاينة على أرض فلسطين التاريخية، أو ما يعبر بعضهم عنها بـ" معركة الرحم"[٣٣]، يلزمنا أن ندرس كل حالة على حدة، ثم نبين سمات كل حالة على وجه التحديد، ثم بيان أنموذج يلتقي العرب مع الصهاينة فيه اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وخير مثال لذلك مدينة القدس المحتلة، لا سيما وأن النزاع عليها له خصوصية دينية وتراثية لكل الطرفين.

وفي نظرة أولية إلى ما قبل الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، نجد أن عدد العرب كان أكثر بكثير من عدد اليهود، وأن اليهود لم يكونوا يمثلون أي تهديد سكاني يذكر، والجدول التالي يشير إلى تطور أعداد سكان فلسطين في الفترة ما بين ١٩١٤–١٩٤٨[٣٤].

السنة	المجموع الكلي للسكان	السكان العرب		السكان اليهود	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩١٤	٦٨٩,٧٧٥	٦٣٤,٦٣٣	٪٩٢	٥٥,١٤٢	٪٨
١٩٢٢	٧٥٧,١٨٢	٦٧٣,٣٨٨	٪٨٩	٨٣,٧٩٤	٪١١
١٩٣١	١،٠٣٥,٨٢١	٨٦١,٢١١	٪٨٤	١٧٤,٦١٠	٪١٦
١٩٤٤	١،٧٣٩,٦٢٤	١،٢١٠,٩٢٢	٪٦٩,٧	٥٢٨,٧٠٢	٪٣٠,٣
١٩٤٧	١،٩٧٧,٦٢٦	١،٣٦٣,٣٨٧	٪٦٩	٦١٤,٢٣٩	٪٣١
١٩٤٨	٢،٠٦٥,٠٠٠	١،٤١٥,٠٠٠	٪٦٨,٥	٦٥٠,٠٠٠	٪٣١,٥

(٣٣) أمين هويدي، المشكلة السكانية والأمن الإسرائيلي، صحيفة الأهرام ١٠ فبراير ٢٠٠٤، نقلاً عن الموقع الفلسطيني للإعلام.

(٣٤) جريدة الشرق الأوسط، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣، انظر أيضاً: يوسف كامل إبراهيم، التحول الديموغرافي القسريفي فلسطين، نقلاً عن موقع باحث: www.bahethcenter.org

أولاً: الحالة السكانية العربية " الفلسطينيين"

أعلن الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء أن عدد الفلسطينيين المقدر في العالم حتى نهاية عام ٢٠٠٣ بلغ ٩,٧ مليون فلسطيني، موزعين على النحو التالي(٣٥):

المنطقة	عدد السكان
الضفة الغربية	٢,٣ مليون، يشكلون (٦٣,٣٪)
قطاع غزة	١,٤ مليون، يشكلون (٣٦,٧٪)
فلسطين المحتلة عام ٤٨	حوالي المليون
الأردن	٢,٨ مليون
سورية	٤٣٦ ألفاً
لبنان	٤١٥ آلاف
مصر	٦٢ ألفاً
عدد من الدول العربية المختلفة	٥٩٥ ألفاً
الولايات المتحدة	٢٣٦ ألفاً
الدول الأجنبية	٣٠١ ألفا
المجموع الكلي	٩,٧ مليون نسمة

وبين التقرير أن عدد السكان في الأراضي الفلسطينية يحتاج إلى ١٩ عاماً ليتضاعف، بينما يحتاج عدد الفلسطينيين في أراضي عام لـ ٤٨ إلى ٢١ عاماً، مشيراً إلى أن عدد الفلسطينيين في العالم يحتاج إلى حوالي ٢٢ سنة حتى يتضاعف ليصبح ١٨,٦ مليون فلسطيني(٣٦).

ويمكن هنا ملاحظة أن البيانات المتوافرة حول الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية في نهاية عام ٢٠٠٣ تشير إلى أن ٤٢,٦٪ من السكان الفلسطينيين

---

(٣٥) نقلاً عن جريدة القدس العربي، ١ مايو ٢٠٠٤.

(٣٦) انظر الموقع: الموقع الفلسطيني للإعلام، www.palestine-info.

لاجئون، وأن نسبة الأفراد دون الخامسة عشر من العمر بلغت ٤٦ ٪، في حين بلغت نسبة الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ٣,١٪، كما بلغ العمر الوسيط للسكان ٦١,٧ سنة.

ومن جانب آخر بلغ معدل الخصوبة الكلي في العام ١٩٩٩ في الأراضي الفلسطينية ٥,٩ مولود لكل امرأة. كما بلغ معدل المواليد الخام ٣٩,٢ مولود لكل ألف من السكان، أما بالنسبة للعمر المتوقع للبقاء على قيد الحياة فقد بلغ ٧٠,٧ سنة للذكور، و٧٣,٨ سنة للإناث، وذلك في العام ٢٠٠٣[٣٧].

ووفقا للتقديرات سيبلغ عدد الفلسطينيين ٥,١ مليون بحلول منتصف عام ٢٠٠٥ مقابل ٥,٣ مليون يهودي (في فلسطين التاريخية)، وسيتساوي عدد السكان الفلسطينيين واليهود في عام ٢٠٠٦، وسيرتفع عدد الفلسطينيين إلي ٦,٢ مليون في منتصف عام ٢٠١٠ مقابل ٥,٧ مليون يهودي. وستصبح نسبة السكان اليهود حوالي ٤٤ ٪ فقط من السكان بحلول منتصف عام ٢٠٢٠ حيث سيصل عددهم إلي ٦,٤ مليون مقابل ٨,٢ مليون فلسطيني[٣٨].

ثانياً: الحالة السكانية الصهونية

يُستدل من معطيات نشرتها دائرة الإحصاءات المركزية الصهيونية الرسمية في عيد رأس السنة العبرية (سبتمبر ٢٠٠٤) بأن عدد سكان الكيان الصهيوني قد وصل إلى ٦,٨ ملايين نسمة، ٥,٥ ملايين منهم من اليهود و١,٣ مليون من عرب ٤٨، وأن إجمالي عدد اليهود في العالم وصل إلى ١٣ مليون يهودي[٣٩].

هذه المعطيات لا تشمل العمال الأجانب الذين يقيمون في الكيان، والذين يبلغ عددهم ١٨٩ ألف شخص، وبعضهم يقيم في الكيان منذ أقل من عام[٤٠].

---

(٣٧) يوسف كامل إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين.
(٣٨) جريدة القدس العربي، ١ مايو ٢٠٠٤.
(٣٩) محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص ٢٢٧.
(٤٠) انظر الموقع: الموقع الفلسطيني للإعلام، www.palestine-info.

وفيما يتعلق بعدد الذين استجلبوا للعيش في الكيان خلال العام ٢٠٠٣، فقد كشفت المعطيات أنه تم جلب (٢٢-٢٤) ألف يهودي من الخارج، نصفهم من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، و١٥ ٪ من إثيوبيا (أكثر من ثلاثة آلاف)، و٩ ٪ من فرنسا، والبقية من دول أخرى.

أما بالنسبة لعدد اليهود حول العالم، فتفيد الوكالة اليهودية، أن عددهم الإجمالي وصل إلى نحو ١٢ مليون و٩٥٠ ألف يهودي، كما في الجدول التالي:

المنطقة	العدد
في فلسطين المحتلة	٥,٥ ملايين
أمريكا الشمالية	٥ ملايين و٦٧١
أوروبا	مليون و١٦١ ألف
الاتحاد السوفياتي السابق	٤١٣ ألف
أمريكا الجنوبية	٤٠١ ألف
أستراليا ونيوزيلندا	١٠٧ آلاف
أفريقيا	٨٤ ألفاً
آسيا	١٩ ألف
العدد الإجمالي	١٢ مليون و٩٥٠ ألف

وأظهر إحصاء نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية في نهاية السنة العبرية ٢٠٠٣ التي تنتهي عادة أواخر شهر مارس من كل عام، أن عدد اليهود في العالم بلغ ١٣,٣ مليوناً، مما يظهر انخفاضاً في عددهم بالعالم. فوفقاً لإحصاء أجراه مركز الإحصاء اليهودي بالقدس المحتلة نهاية السنة العبرية لعام ٢٠٠٢، فإن عدد اليهود في العالم بلغ ١٣,٧ مليوناً مقابل ١٣,٩٥ مليونا عام ٢٠٠١ بحسب إحصائية لجامعة ابن غوريون.

لكن – ونحن ندرس الحالة الصهيونية – يجدر بنا أن نلاحظ أن هناك

أسباباً موضوعية تشكل أهمية ونحن نحلل الظاهرة السكانية اليهودية، من أهمها[٤١]:

أ) تزايد معادلات الاندماج بين اليهود وغيرهم من القوميات والشعوب، فهناك على سبيل المثال أكثر من مليون ونصف المليون يهودي أخفوا هويتهم في الاتحاد السوفيتي.

ب) تنصر العديد من الجماعات اليهودية أو تركها للديانة اليهودية.

ج) الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم، فقد بلغت نسبة ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أكثر من ٥٠٪، وفي الاتحاد السوفيتي إلى أكثر من ٨٠٪.

د) انسحاب كثير من النساء من عملية الإنجاب في المجتمعات المسماة متقدمة، ولعل أكثر قيادات هذه الحركة هن من اليهوديات، وتزايد القيم النفعية الأنانية في زمن العلمنة التي حولت الزواج والجنس إلى متعة فحسب، وبالتالي هناك حالة من التخلي عن المفهوم الأسري المترافق مع تحديد النسل، وبخاصة في المدن، وأغلب اليهود هم من سكان المدن، مع زيادة ظاهرة الزواج المتأخر.

هـ) تفسخ الأسرة اليهودية وتزايد نسبة الطلاق، وهذا مدعاة للإعراض عن الإنجاب، واتساع ظاهرة العنوسة، فقد ذكرت جريدة معاريف في ٢٥ يناير ٢٠٠٠ أن من بين كل ٣ حالات زواج يكون مصير حالة منها الطلاق، وقد طرأت زيادة بنسبة ١٥٪ في عدد حالات الطلاق بالكيان الصهيوني منذ عام ١٩٩٠. واستمرت هذه الزيادة أيضاً خلال العام ٢٠٠٣، حيث سجلت زيادة بنسبة ١٪ في عدد حالات الطلاق (نحو ٨,٦٠٤ حالات)[٤٢].

---

(٤١) عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٢)، ص٣٢، كذلك إسماعيل الصمادي، الانتفاضة تساهم في اضمحلال الشعب اليهودي، جريدة الوطن القطرية ٧ أكتوبر ٢٠٠٣.

(٤٢) يوسف إبراهيم، الكيان الصهيوني من الداخل ملامح وصور الانهيار الاجتماعي.

في المقابل نرى على سبيل المثال في دراسة أجراها مركز الدراسات الاجتماعية في مصر أن نسبة الفتيات اللاتي تأخرن عن سنة الزواج بلغت ١٪ في فلسطين[٤٣]. وهي نسبة مشجعة جداً، بل هي نسبة أولى في المنطقة، إذا قورنت في المجتمع اليهودي، أو على أقل تقدير بالمجتمعات العربية المحيطة، التي انتشرت فيها ظاهرة الطلاق بصورة كبيرة وواسعة.

ق) أن معدل الوجود اليهودي في العالم يتمركز حول المدن والحواضر، مما يعني أن هناك تقلصاً طبيعياً في زيادة المواليد. لذا ليس من المستغرب أن نرى أن عدد اليهود في العالم طيلة ربع قرن، ما زال يتراوح ما بين (١٢,٥) مليون إلى (١٦,٥) مليون نسمة

وهنا تظهر في واقع المجتمع الصهيوني إشكالية الهوية اليهودية والانتماء للأمة اليهودية، ويرجع العديد من المحللين اليهود هذا التراجع إلى تعقيد القوانين الدينية التي تصدر عن الحاخامية الكبرى في إسرائيل، حيث تدور هناك إشكالية قديمة جديدة حول تحديد من هو اليهودي[٤٤].

كما أن نسبة المواليد في الكيان الصهيوني قد شهدت تراجعاً كبيراً، حيث أظهرت إحصاءات دائرة الضمان: أن ما نسبته ٨٣٪ من الصهاينة يرغبون في إنجاب طفلين فقط، في حين يرغب ١٧٪ في إنجاب ما يزيد عن خمسة. وغالباً ما تكون هذه النسبة في صفوف المتدينين الذين يرون في الإنجاب نوعاً من التحدي الديمغرافي للفلسطينيين.

إضافة لهذه الأسباب فقد أصبحت الخصوبة اليهودية أقل نسبة خصوبة في العالم، ولكي يستعيد المجتمع نفسه، فيجب على الأنثى في هذا المجتمع أن تلد ٢,١ كمتوسط (أي بحدود مولودين)، والمرأة في "الكيان الصهيوني" تنجب ٢,٩١ فقط (أي أقل من ثلاث مواليد)، وهذا الرقم بالنسبة للجالية

(٤٣) جريدة البيان الإماراتية، ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣، العدد ٨٥٨٧,٤٤

(٤٤) عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، ص١٥٢.

اليهودية في العالم مفجع، ولهذا فمن المتوقع أن ينحدر عدد اليهود في العالم سنة ٢٠٢٥ إلى خمسة أو ستة ملايين[٤٥].

علماً أن المرأة اليهودية داخل فلسطين المحتلة تنجب (٢,٨) طفلاً، وهي نسبة عالية بالنسبة لليهوديات خارج فلسطين، حيث تبلغ نسبة ذلك عند المرأة اليهودية في الولايات المتحدة إلى (١,٥)[٤٦].

في المقابل، نرى أن هناك زيادة عالية جداً في معدل الخصوبة للمرأة الفلسطينية، فمعدل ذلك في الضفة الغربية ٧,٥٪، وفي قطاع غزة بلغ معدل الخصوبة ٩,٧٪، وهي أعلى نسبة خصوبة في العالم.

وحسب تقديرات الدكتور يوسف كامل، وعلى أساس ثبات الزيادة السنوية للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة = ١٧٦,١٥٩ نسمة سنوياً، مقابل الزيادة السنوية لليهود = ٨٣,٥٠٠ نسمة سنويا[٤٧].

م) اضطراب عملية الهجرة ما بين اليهود وغير اليهود للحصول على مكتسبات وامتيازات، جعلت عملية الهجرة بذاتها غير مقتصرة على اليهود المهاجرين، ولعل مشكلة المهاجرين الجدد وإشكاليتهم المتعددة، جعلت الوضع السكاني الصهيوني في اضطراب وعدم استقرار، فعلى سبيل المثال، اليهود الروس الذي يمثلون مصدراً أساسياً في عموم الهجرة إلى دولة الاحتلال، ما زالوا يشكلون أزمة حقيقية في تعامل السلطات اليهودية معهم، ففي عنوان كتاب جديد لأستاذ علم الاجتماع في جامعة حيفا البروفسور ماجد الحاج "الهجرة والتكوين الإثني لدى اليهود الروس في إسرائيل"، يظهر أن ما يزيد عن ٣٠٪ من القادمين الروس هم من المسيحيين والمسلمين، ويؤكد البحث أن ٥٠٪ من المهاجرين الروس الذين قدموا إلى فلسطين في السنوات الثلاث الأخيرة كانوا من غير اليهود[٤٨].

---

(٤٥) إسماعيل الصمادي، الانتفاضة تساهم في اضمحلال الشعب اليهودي.
(٤٦) عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، ص٣٣.
(٤٧) المرجع سابق.
(٤٨) جريدة القدس العربي، ٣٠ يونيو ٢٠٠٤.

ومن ضمن المعطيات المثيرة التي يكشفها الكتاب: ظاهرة زواج الفتيات الروسيات من المواطنين العرب، واعتناقهن الديانة الاسلامية في حالات كثيرة، إضافةً إلى قيام القادمين الروس ببناء الكثير من الكنائس لهم داخل المدن الصهيونية، واعتبار أنفسهم أصحاب قومية إسرائيلية وديانة مسيحية، علماً أن المهاجرين الروس في دولة الاحتلال هم اليوم أكبر مجموعة إثنية، وهم يشكلون ١٦٪ من المجتمع الصهيوني، وتدل الإحصائيات الأخيرة على أن واحداً من كل خمسة جنود في جيش الاحتلال هو من أصل روسي.

هذا الاضطراب والاختلاط ما بين اليهود وغير اليهود، جعل الأمر يتجلى بهجرة أغلب هؤلاء غير اليهود بمجرد حصولهم على الجنسية الصهيونية، والسفر إلى الولايات المتحدة أو أوروبا، كما يعبر عن ذلك البروفسور أرنون سوفير، وهو خبير في الشؤون الديموغرافية في جامعة حيفا، عن الهجرة السلبية من دولة العدو، إذ يقول:" كثيرون من الشباب الإسرائيلي يغادرون بعد إنهاء الخدمة العسكرية للتجول في أنحاء العالم، بعضهم يعود وبعضهم الآخر يبقى في بلدان أجنبية، وعندما ينكشف الجيل الشاب على الدول الغربية، التي يعتبر جزءاً منها، لن يكتفي بإسرائيل التي تتدهور نحو بلد من دول العالم الثالث. لا ننسى كذلك أن كثيرين من اليهود في العالم يتزوجون من الأغيار ولا يتزايد الشعب اليهودي ".

ولعل هذا ما جعل وزير العمل الإسرائيلي شلومو بنعزري، يقول:" إن عظام تيودور هرتزل – مؤسس الحركة الصهيونية – سترتجف في قبره، في حال علم أن خمسين بالمئة من المهاجرين الذين قدموا للإقامة في الدولة اليهودية هم من غير اليهود"(٤٩).

وتؤكد إحدى الدراسات أن ٢٠٪ من زيجات المهاجرين غير معترف بها

(٤٩) نقلاً عن: أشرف سلفيتي، ثلث عدد المهاجرين إلى "إسرائيل" غير يهود، جريدة البيان الإماراتية ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٢.

لدى الحاخامية، والقانون الديني هو الذي يحكم تسجيل المهاجرين لدى وزارة الداخلية، وهي حقيبة تشغلها تقليدياً أحزاب سياسية دينية[٥٠]، ولعل ذلك صورة من صور النزاع الشديد بين العلمانيين والمتدينيين اليهود في المجتمع الصهيوني.

ثالثاً: مدينة القدس نموذج للصراع السكاني

تعتبر مدينة القدس مدينة لها خصوصيتها الدينية عند جميع الأديان السماوية، وهي بذاتها تشكل جوهر الصراع الحضاري بين المسلمين وأعدائهم على مدار التاريخ الإنساني، سواء أكانوا صليبيين أم صهاينة.

وقد كان للمدينة صولات وجولات من القتال والحروب والدمار بين سكانها الأصليين والمعتدين، وما زالت المدينة إلى يومنا هذا يرزح أهلها تحت الاحتلال الصهيوني، ويشكل صمود أهلها تحدياً عظيماً في ظل موجات التهويد التي تطال المدينة وأهلها منذ عام ١٩٤٨، ومن أهم صور الصمود لسكان المدينة، عدم رحيلهم عنها، على الرغم من الإغراءات الكبيرة بجانب الترهيب المستمر لخروجهم.

ويمثل الصراع السكاني مَعْلَماً هاماً بين السكان المدنية المسلمين "الأصليين"، وبين السكان الغرباء، أو المستوطنين المحتلين، بدعم من دولة العدو الصهيوني.

وقد انتبه قادة الدولة الصهوينة لخطر ذلك، فقاموا بعمل عدة إجراءات على الأرض للحد من الخطر السكاني، يقول رئيس بلدية القدس الحاخام اوري لوبوليانسكي، إن:" القدس هي أغلى ما تملكه إسرائيل، ويجب أن تضمن سيادتها عليها إلى الأبد. ولذلك لا بد من خطة سريعة وعميقة وحكيمة لمجابهة الخطر الديمغرافي فيها ومعالجته كما يجب"[٥١].

---

(٥٠) نقلاً عن: أشرف سلفيتي، المرجع السابق.
(٥١) جريدة الشرق الأوسط، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣.

وكان مركز الاحصاءات المحلي في القدس برئاسة البروفيسور سرجيو دلا فرغولا، قد نشر إحصاءات جديدة حول المستقبل السكاني للقدس، أشار فيه إلى أن نسبة اليهود في المدينة تبلغ حالياً ٧٥,٥٪ بينما الفلسطينيون ٢٦,٥٪.[٥٢]

ويتنافس اليهود المتدينون مع جيرانهم العرب في المدينة حول نسبة الولادة، التي تعتبر من أعلى النسب في العالم. يذكر أن الكيان الصهيوني منذ احتلاله القدس الشرقية، يحاول ضمان توازن سكاني في القدس بحيث لا تزيد نسبة الفلسطينيين فيها عن ٣٠٪. وكانت الإحصاءات الرسمية قد أشارت إلى أن نسبة الفلسطينيين تصل الى ٢٨٪ لكن الإحصاءات الفلسطينية تتحدث عن ٣١٪.

وتسعى الحكومات الصهيونية منذ احتلال القدس عام ١٩٦٧ إلى تدعيم سيادتهم على المدينة، من خلال خلق أغلبية حاسمة لليهود في المدينة، لجأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في القدس الشرقية إلى عدة وسائل للتقليل من نسبة الفلسطينيين في المدينة، منها[٥٣]:

- التمييز المنظم والموجه ضد السكان الفلسطينيين في القدس الشرقية فيما يتعلق بمصادرة أراضيهم بزعم التخطيط والبناء على أسس قانونية منظمة، وفي المقابل نجد عمليات بناء واسعة النطاق واستثمارات ضخمة بهدف إنشاء أحياء سكنية لليهود في القدس الشرقية، لعل أخرها مستوطنتا رأس العامود وجبل أبو غنيم، ويترتب على هذه السياسة وجود نقص حاد يصل إلى آلاف الشقق بين السكان العرب.
- تخصيص الحد الأدنى من الاستثمارات في مجال البنى التحتية والخدمات للعرب.
- سلب حق المواطنة من السكان العرب الذين أقاموا سنوات عدة خارج حدود

(٥٢) جريدة الشرق الأوسط، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣.
(٥٣) جريدة الشرق الأوسط، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣، انظر أيضاً: يوسف إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين.

المدينة، لا سيما من يبقى خارج البلاد من سكانها ٧ سنوات فما فوق، وسحب بطاقات الهوية الصهيونية منهم لمختلف الحجج.

- جذب عشرات ألوف القادمين اليهود الجدد إلى المدينة، مقابل اغراءات مذهلة في أسعار البيوت وشروط تسديد قروض الإسكان فضلاً عن منح الهبات.
- رفض تلبية طلبات جمع شمل الأسر التي قدمتها نساء فلسطينيات يسكنَّ في القدس من أجل أزواجهن الذين لم يقيموا معهن في المدينة منذ عام ١٩٩٤م.
- عزل المدينة عن الضفة الغربية لأهداف سياسية ودينية واقتصادية، وكل ذلك من أجل تيئيس السكان العرب ودفعهم إلى الرحيل.
- رفض تسجيل الطفل الذي ولد لأبوين أحدهما من الفلسطينيين المقيمين في القدس الشرقية في سجل المواليد، وكذلك رفض إصدار رقم قومي له.

لكن مع كل هذا، فإن الميزان السكاني في القدس يميل استراتيجياً لصالح العرب، وهم أكثر تشبثاً بمدينتهم، فقد بيّنت دراسة صهيونية أن أعداد العرب في مدينة القدس تزداد نمواً بالمقارنة مع اليهود، كما بيّنت الدراسة أنّ العرب المقدسيين أكثر تشبثاً بالمقارنة مع المستوطنين المستجلبين إليها.

فقد نشر "معهد القدس للدراسات الصهيونية" معطيات عن التغييرات السكانية في المدينة منذ احتلالها، أوضحت أنّ ٦٩٢,٣٠٠ نسمة يسكنون اليوم في القدس بشطريها الشرقي والغربي، منهم نحو ٦٧٪ من اليهود، ونحو ٣٣٪ من العرب.

ونقلت صحيفة "معاريف" عن الباحثة الصهيونية مايا حوشن بأن الميزان الديمغرافي في المدينة قد ساء في صالح اليهود، عقب الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في المدينة، والتي تقارب ثلاثة أضعاف نسبتها لدى اليهود، وأشارت الدراسة في هذا الصدد إلى أنّ الآلاف من اليهود يغادرون مدينة القدس كل عام، بينما يتمسك العرب بالبقاء فيها.

لهذا لم يكن غريباً أن تثبت بعض الدراسات أن نسبة الفلسطينيين في مدينة القدس الموحدة ستصل في سنة ٢٠٢٠ إلى ٤٠٪، مقابل ٦٠٪ من اليهود(٥٤).

---

(٥٤) جريدة الشرق الأوسط، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣.

المبحث الثالث
مقاصد أصلية في الصراع السكاني بين العرب والصهاينة

يعتبر البحث المقصدي في شؤون القضية الفلسطينة – ومجمل قضايانا العربية والإسلامية – بحثاً مهماً للغاية؛ لأنه يستدل به على المعطيات والأحداث الجديدة بنظرة أصولية شرعية أصيلة، لاعتبار أن الصراع مع الصهاينة ليس مقتصراً على الفلسطينيين، وإنما هو صراع حضاري بين أمة الإسلام وبين أعداء الحضارة، يمثلهم الصهاينة بكل تأكيد.

وإذا كنا – في دراستنا هذه – نصطحب معنا مقاصد الشريعة الإسلامية، محاولين غربلة إشكاليات العمل الإسلامي وخطابه المعاصر بشأن الصراع العربي الصهيوني، فلا بد من التذكير أن هناك مقاصد شرعية عليا، وهي "التوحيد والتزكية والعمران"(٥٥)، كما قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾، سورة الأعراف، ١٢٩، فيجب أن تكون ضمن الرؤية الكلية للمشروع الإسلامي الحضاري، أو بالأحرى أن فقه المقاصد الشرعية هو عنصر أساسي ضمن مفهوم الفقه الحضاري كما ينادي بذلك العلامة يوسف القرضاوي(٥٦).

وهذه المقاصد العليا لها القدرة على ضبط الأفعال والجزئيات المندرجة ضمن العمل الإسلامي على أرض فلسطين، لأن مشروعنا حضاري يمكنه أن يستوعب الصهاينة وغيرهم من أعداء الأمة، إذا وصلتهم اللمسات الروحية والإنسانية لهذا الدين العالمي ومشروعه الحضاري، وقبلوا الخضوع له، كما

---

(٥٥) انظر: طه العلواني، مقاصد الشريعة، (بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠١)، .١٣٥، كذلك انظر: سيف عبد الفتاح، المدخل المقاصدي وفقه الواقع، ٢/ ١١٠.

(٥٦) نقلاً عن: الريسوني، من أعلام الفكر المقاصدي، ص١٠١.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، سورة الأنبياء، ١٠٧.

لكن ونحن نخوض صراعاً حربياً استنزافياً مع الصهاينة، فإن مقاصد الشرعية تتطلب منا ضرورة الفهم الدقيق لمكونات الصراع وجزئياته، مصطحبين معنا كل الأدلة الشرعية التي يمكن أن تعمق النظرة الشرعية السياسية لهذا الصراع، فأدلة الشريعة التي ابتكرها علماء الأصول والمقاصد، وأبرزها سد الذرائع، والمصالح المرسلة، والاستحسان وغيرهم، وهي أدلة وأدوات تساعد بلا شك على ترشيح النظرة الشرعية للأحداث وغربلتها بما يناسب الحكم الشرعي الصحيح للحادثة، فهي أدوات غالباً ما يكون فيها تحصيل المقاصد الشرعية، على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد في كل حادثة وربط ذلك بمجمل رؤية الشريعة الكلية لتطورات القضية الفلسطينية.

وبعد هذه النقاط السريعة التي دونت في ثنايا هذا البحث، يمكننا التأكيد على أهمية القراءة المقاصدية للمشكلة الفلسطينية من خلال وضع أهم الأطر الشرعية التأصيلية لها، حتى نكون على بينة شرعية ونحن نخوض صراعنا مع الصهاينة، وللتأكيد على أهمية النظرة المقاصدية في الصراع السكاني بين العرب والصهاينة، يمكن تجلية أهم المقاصد الأصلية لهذا الصراع.

والمقصود – هنا – بالمقاصد الأصلية في مضمون تطورات القضية الفلسطينية أو الصراع العربي الصهيوني: الضروريات المعتبرة في القضية الفلسطينية، والتي يمثل الحفاظ عليها مصلحة للمسلمين وللمشروع الإسلامي الحضاري على أرض فلسطين.

والتي يجب على المسلمين – وهم يشاركون في المشروع الإسلامي – أن يتحروا الحفاظ عليها قدر الإمكان، وعدم التفريط بها، وأن تُقدم على حساب المصالح الشخصية أو الفئوية أو الحزبية أو الإقليمية أو الدولية؛ لأنها مقاصد معتبرة، وفيها مصالح شرعية للمشروع الإسلامي، لا يجوز التفريط بها تحت أي ظرف من الظروف.

كما أن قراءتنا للمشاريع والرؤى التي تطرح لحل هذه القضية أو إغلاق ملف الصراع العربي الصهيوني، يجب أن تبتعد عن النظرة السطحية أو الشكلية، والخوض في أعماقها، وسبر أغوراها، لأن القراءة التحليلية المعمقة هي صورة من صور البحث المقصدي.

وإذا كانت الحاجة تنزل منزلة الضرورة – كما يقول علماء الشريعة[٥٧] – فمسألة الزيادة السكانية – هنا – تعتبر ضرورة ملحة، وتزداد أهمية عند معرفة خطط الأعداء وما يدبرونه من استراتيجيات ورؤى مستقبلية في شأن هذا الصراع.

لكن – وقبل الخوض في تجلية أهم المقاصد الشرعية "الأصلية" في هذا الشأن–، يجدر بنا توضيح قضية ذات أهمية في هذا الصدد، وهي أن الزيادة الطبيعية عند العرب لن تشكل خطراً بذاتها، فعدد العرب والمسلمين اليوم يتجاوز المليار و(٣٠٠) مليون مسلم، مقابل أقل من (١٣) مليون يهودي في العالم، والكل يعلم مدى الخطر والأهمية التي يمثل هؤلاء اليهود اليوم، أي أن الكثرة والقلة ليست هي المعيار والمقياس الدائم، والنص القرآني بليغ في معناه، قال الله عز وجل ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ سورة البقرة، ٢٤٩.

والحديث النبوي الكريم صادق في معناه – أيضاً – فقد صح عنه صلي الله عليه وسلم قوله:" يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"[٥٨].

ونحن نؤمن إيماناً جازماً بأن النص النبوي " بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل"، واضح في معناه، أي أن الزيادة السكانية والأغلبية لا تشكل

---

(٥٧) ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص١٠٠.

(٥٨) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، رقم الحديث، (٣٧٥٤).

خطراً بذاتها، لا سيما في الصراع الحضاري بين الأمة وأعدائها، فالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرم، خاضوا غزوات ومعارك عديدة، كانت السمة المشتركة لهم أنهم قلة، مقابل أضعاف مضاعفة من الأعداء، ولكن في النهاية كان المشروع الإسلامي بقيادة الرسول الأعز هو المنتصر والغالب.

وفي عصرنا الحديث، كان الفرنسيون في الجزائر، أقلية يحكمون الأغلبية المسلمة، ودام هذا الاستعمار أكثر من قرن(٥٩)، والحال مثله في النظام العنصري في جنوب إفريقيا، أو في الاستعمار البريطاني للهند ولأغلب دول العالم الإسلامي.

وإذا قصدنا في دراستنا هذه ضرورة الانتباه والحذر من المخطط الصهيوني في التقليل من القدرة البشرية عند العرب، فهذا وحده ليس مسوغاً لأن نغفل النظرة الموضوعية بضرورة الاهتمام بالتنمية البشرية وفاعليتها في المجتمع العربي، وقدرتها على العطاء والعمران، فهذه ضرورة مقاصدية كما أن الاستمرار في النسل والتوالد ضرورة تحريرية(٦٠).

ولكن لكي يكون لهذه الزيادة خطر على الصهاينة، لا بد من مقاصد شرعية أساسية، تحولهم إلى عنصر فعال ومؤثر في مسار الصراع العربي الصهيوني، خصوصاً وأن المشكلة السكانية بين العرب والصهاينة تعتمد على قضايا طبيعية "الولادة، الوفاة"، أو على قضايا سياسية وأمنية "الهجرة، والهجرة المعاكسة".

وبعد قراءة مستوفية في هذا الوضع السكاني بين العرب والصهاينة، يمكن غربلة أهم المقاصد الأصلية التي تساعد على فهم أدق لطبيعة الصراع، والابتعاد قدر الإمكان عن مسالك الظنون والتوهمات عند البعض، كما يؤكد ذلك مراراً الجويني: "والذي يجب الاعتناء به، تمييز المقطوع به عن

---

(٥٩) قارن مع: عبد الوهاب المسيري، هل يصبح اليهود أقلية في "الدولة اليهودية"؟ نقلاً عن: المركز الفلسطيني للإعلام، انظر: www.palestine-info

(٦٠) سيف عبد الفتاح، المدخل المقاصدي وفقه الواقع، ٢/ ٢٢.

المظنون"[٦١]، وهذا منهج علماء الشريعة والأصول، في تأكيدهم على أن الفطنة والكياسة، هي من "عظائم الأمور، لا يدرك معانيها لينقلها إلا فطن، ولا يؤتى من غفلة وذهول"[٦٢].

ولأنا نؤمن أن دراسة قضايانا السياسية والاجتماعية عن قرب وكثب ومن منظار الشريعة وعلومها، سيعطينا بعداً هاماً في فهم إشكالياتها وحوادثها المتجددة، والبحث عن مقاصد أصيلة لها، سيكون مرده اجتهادنا وبحثنا في مسالك هذه القضية الشائكة، وعلى حد كلام الجويني، " فإنا إذا أوجبنا العلم بها فقد يدق مدركها، ويتوعر مسلكها، ولكنها إذا كانت مستدركة بأساليب العقول، تعين السعي في إدراكها"[٦٣].

١) الوقوف بحزم اتجاه مصادرة الأراضي العربية، أو بيعها للصهاينة، والتصدي لبناء المستوطنات، لأن ذلك يصب في نجاح المشروع السكاني الصهيوني

لقد بدأ التغلغل اليهودي في فلسطين والعمل على شراء الأراضي في ظل حماية الاستعمار والدول المهيمنة، كما أن النظرة الصهيونية للعرب بأنهم كما يقول إسرائيل زانجويل، المفكر الصهيوني البريطاني: "يجب ألا يسمح للعرب أن يحولوا دون تحقيق المشروع الصهيوني، ولذا لا بد من إقناعهم بالهجرة الجماعية..، فهم بدو رُحل، يطوون خيامهم وينسلون في صمت، وينتقلون من مكان لآخر"[٦٤].

وما زالت المصادرات الصهيونية للأراضي العربية مستمرة تحت مسميات مختلفة، كان آخرها مصادرة أراضي عربية بحجة إقامة جدار الفصل العنصري،

---

(٦١) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص١٤٨.
(٦٢) غياث الأمم في التياث الظلم، ص١٥٥.
(٦٣) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٥١١.
(٦٤) عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ص٢٢٦.

ولعل الهدف واضح أن ذلك سيصب في خدمة المشروع الصهيوني الاستيطاني، ومحاولة للتضييق على العرب، والعمل على طردهم من ديارهم.

ويقدر بناء الجدار بتكاليف إجمالية تقدر بمليار دولار، ويتكون من سور يبلغ ارتفاعه ٨ أمتار، وطوله ما بين ٧٢٨ – ٧٥٠ كيلومترا، وسيلتهم ٧٥٪ من موارد المياه بالضفة الغربية، ونحو ٢٣٪ من أخصب أراضيها، ومن المقرر أن ينتهى العمل منه في نهاية عام ٢٠٠٥. وحسب الإحصائيات ستبلغ مساحة الأراضي الفلسطينية التي ستتضرّر من إقامة الجدار عند انتهاء العمل فيه (٩١٥) ألف دونم، أي ما نسبته ١٦,٣ ٪ من مجموع مساحة الضفة الغربية. وفي هذا الباب تأتي حرمة بيع الأراضي العربية للصهاينة، لأن في ذلك تمكيناً للمشروع الصهيوني وخذلاناً للمشروع الإسلامي التحرري.

وفي المقابل، سيكون مستقبل المستوطنات التي تبنى على حساب الأرض والسكان الأصليين في فشل بيِّن، لا سيما مع أعمال المقاومة والاضطراب السكاني، فلقد كان من المؤمل أن تكون هذه المستوطنات وعاء يلم شتات الصهاينة من شتى بقاع الأرض، وقد أصبحت الآن بيوتاً خاوية، مما يعني أن هناك خسائر مالية ضخمة جراء بناء مساكن خاوية لا ساكن فيها. كما أن تكاليف الحراسة ووجود الجيش الصهيوني لحمايتها من أي هجوم للمقاومة الفلسطينية أمر بات لا يستساغ في ظل الأزمة الاقتصادية التي تحياها دولة العدو. ففي آخر الإحصائيات المتوافرة من قبل دائرة الإحصاء المركزية الصهيونية تم خلال الأشهر الثمانية الأولى من العام (٢٠٠٤)، تسجيل مغادرة ٢,٥ مليون صهيونيّ إلى خارج الدولة العبرية، ما يعني ارتفاعاً بنسبة ١٤ ٪ في عدد المسافرين إلى خارج الكيان، مقارنة مع الفترة المقابلة من العام الماضي (٢٠٠٣)[٦٥].

هذا يعني بكل وضوح، أنه على الرغم من الجبروت الصهيوني في الاستمرار في بناء المستوطنات على حساب سكان العرب الأصليين، إلا أنها – في الحقيقة – تمثل خسائر اقتصادية هائلة من دون جدوى، إذ أنها بيوت لا سكان فيها.

لقد كان مقصد الصهاينة من احتلال فلسطين إعادة ما يسمى بأرض

(٦٥) انظر موقع: المركز الفلسطيني للإعلام، بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٤، www.palestine-info.

الميعاد المزعومة، مع القضاء على الإسلام وحضارته، واستغلال ثروات المسلمين، صاحب ذلك كله طرد المسلمين من أراضيهم، وتجميع اليهود من الشتات، مع فرض سلطة وعملاء على الشعب الفلسطيني يعملون لحسابه.

وفي السنة النبوية نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام حرباً ضد أعدائه، عندما اعتدوا على متاعه ومتاع المسلمين، ففي البخاري، عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة أنه أخبره قال:" خرجت من المدينة ذاهباً نحو الغابة، حتى إذا كنت بثنية الغابة لقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، قلت: ويحك ما بك! قال: أُخِذَتْ لقاحُ النبي صلى الله عليه وسلم، قلت: من أخذها، قال غطفان وفزارة، فصرخت ثلاث صرخات أسمعت ما بين لابتيها، يا صباحاه، يا صباحاه، ثم اندفعت حتى ألقاهم، وقد أخذوها فجعلت أرميهم، وأقول: أنا بن الأكوع واليوم يوم الرضَّع، فاستنقذتها منهم قبل أن يشربوا، فأقبلت بها أسوقها فلقيني النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش، وإني أعجلتهم أن يشربوا سقيهم، فابعث في أثرهم، فقال: يا بن الأكوع، ملكت فأسجح، إن القوم يقرون في قومهم "(٦٦).

كما أن الوقوف في وجه بناء المستوطنات الصهيونية يعتبر من المقاصد الأصلية في المحافظة على مقصد النسل، وأي عمل هدم وتدمير ضد هذه المستوطنات المملوكة للعدو الصهيوني يدخل ضمن هذه المقاصد والمحافظة عليها، وفي هذا الصدد يقول العلامة النووي ٦٤٦هـ:" وإن احتاج المسلون إلى إتلاف أموال الكفار – كتخريب بناء وقطع شجر – ليكفوا عن القتال أو ليظفروا بهم، فلهم ذلك، وإن لم يحتاجوا، نظر: إن لم يغلب على ظنهم حصول ذلك المال للمسلمين جاز إتلافه؛ مغايظة لهم، وتشديداً عليهم، وإن غلب على الظن حصوله، كره الإتلاف "(٦٧).

ويغلب على الظن، أن إتلاف هذه المستوطنات بأعمال فدائية أو بث الرعب والإرجاف في صفوف سكان هذه المستوطنات من الأمور التي يحفظ بها

---

(٦٦) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من رأى العدو فنادى بأعلى صوته يا صباحاه، رقم الحديث، (٢٨٧٦).

(٦٧) النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٩١)، ٢٥٨/١٠.

مقصد النسل لصالح المسلمين، مع ضرورة التنبيه على أن هذه الأعمال تأتي ضمن سياق العمل المقاوم المنظم، والمصلحة الشرعية للمسلمين، وليس بناءً على أمزجة الأفراد، والعشوائية في هذه التصرفات مرفوضة ألبتة.

٢) العمل على الإكثار من الذرية المسلمة والتنشئة الصالحة، واحتساب ذلك نصرة للمشروع الإسلامي، وإكثاراً المسلمين.

لا شك أن تحول الصهاينة إلى أقلية بعد هذه الدراسات السكانية، والتي تشير بمجموعها على أن الغلبة ستكون للعرب وليس للصهاينة، سيثير الرعب في نفوس الصهاينة، وسيأتي السؤال المهم عن بقاء "دولتهم".

هذا الهاجس سيولد – بلا شك – دوراً أساسياً للمفكرين الصهاينة وصناع القرار باعتماد سياسات ورؤى تحد من هذا التخطيط الاستراتيجي، وقد يكون من إحدى هذه السياسيات: طرد العرب من ديارهم، إما بالغصب – وهذه سياسة الصهاينة – أو بالترغيب والاتفاق مع دول المنطقة، لا سيما وأن الشعب الفلسطيني يعتبر مجتمعاً فتياً بسبب ارتفاع معدلات المواليد وارتفاع نسبة صغار السن.

ويمكن الاستدلال بهذا، بما نسمعه ونشاهده من تصريحات للصهاينة باستبدال أراضي في عام ٤٨، بأراضي لعام ٦٧ بالاتفاق مع السلطة الفلسطينية، أو خطة شارون رئيس الوزراء الصهيوني بالانسحاب الأحادي من غزة، وبناء الجدار العازل، كل ذلك والهاجس السكاني يلاحق قيادات هذا المجتمع الغاصب.

والإحصائيات تشير بقوة إلى أن وضع الفلسطينيين أو العرب هو الأقوى والأغلب في معركة السكان، فالمعطيات تشير إلى ذلك بقوة، فإن نسبة الجيل الصغير من الفلسطينيين عالية جداً، مقابل ضعف واضح عند الصهاينة، كما ذكرنا سابقاً[٦٨].

---

(٦٨) يقول البروفسور أرنون سوفير – وهو خبير في الشؤون الديموغرافية في جامعة حيفا–: إن "الجيل الحالي من الشعب اليهودي هو جيل تتسم حياته بنمط غربي، ولا ينجب الزوجان بالمعدل أكثر من ولدين، بعكس الفلسطينيين، حيث هناك وتيرة الولادة أكبر بكثير. يمكن حل هذه المشكلة عن طريق التحفيز على إنجاب مزيد من الأولاد، لكن برأيي لن يكون لذلك تأثير يتلخص بإضافة ولد ثالث للعائلة. ربما إذا عرضوا على الزوجين مثلاً سيارة من نوع مرسيدس أو شقة سكنية، مقابل إنجاب مزيد من الأولاد، قد يوافقان على ذلك، لكن ليس أكثر من ولد ثالث؛ لأن الأمر سيأتي على حساب حياتهما المهنية، وحياتهما بشكل عام". انظر: جريدة الشرق الأوسط، ٣ يناير ٢٠٠٤.

نسبة الجيل العربي المرتفعة جداً، سيكون لها دور في هذا الصراع، إذا أحسن توجيه هذه الطاقة الشابة نحو مشروع التحرير.

والجدول التالي يشير إلى مدى الصراع السكاني الحاصل بين العرب "الفلسطينيين"، والصهاينة، منذ عام (١٩٩٠) وحتى عام (٢٠٠٦)[٦٩].

السنة	الفلسطينيون			اليهود		
	الضفة وقطاع غزة	إسرائيل	الإجمالي	الضفة وقطاع غزة	إسرائيل	الإجمالي
١٩٩٠	١,٦٨٢,٨٠٠	٧٩٢,٤٠٠	٢,٤٧٥,٢٠٠	٨١,٩٠٠	٣,٩٤٦,٧٠٠	٣,٩٤٦,٧٠٠
١٩٩٥	٢,٣٨٩,٨٠٠	٩٣١,٨٠٠	٣,٣٢١,٦٠٠	١٣٨,٥٠٠	٤,٥٢٢,٣٠٠	٤,٥٢٢,٣٠٠
١٩٩٧	٢,٧٨٣,٠٨٤	٩٩٤,٠٠٠	٣,٧٧٧,٠٨٤	١٦٠,١٠٠	٤,٧٠١,٦٠٠	٤,٧٠١,٦٠٠
١٩٩٨	٢,٨٩٧,٤٥٢	١٠٢٨,٥٠٠	٣,٩٢٥,٩٥٢	١٦٩,٤٠٠	٤,٧٨٥,١٠٠	٤,٧٨٥,١٠٠
١٩٩٩	٣,٠١٩,٧٠٤	١,٠٦٣,٠٠٠	٤,٠٨٢,٧٠٤	٠	٤,٨٦٨,٦٠٠	٤,٨٦٨,٦٠٠
٢٠٠٠	٣,١٥٠,٠٥٦	١,٠٩٧,٥٠٠	٤,٢٤٧,٥٥٦	٠	٤,٩٥٢,١٠٠	٤,٩٥٢,١٠٠
٢٠٠١	٣,٢٩٨,٩٥١	١,١٣٢,٠٠٠	٤,٤٣٠,٩٥١	٠	٥,٠٣٥,٦٠٠	٥,٠٣٥,٦٠٠
٢٠٠٢	٣,٤٦٤,٥٥٠	١,١٦٦,٥٠٠	٤,٦٣١,٠٥٠	٠	٥,١١٩,١٠	٥,١١٩,١٠
٢٠٠٣	٣,٦٣٤,٤٩٥	١,٢٠١,٠٠٠	٤,٨٣٥,٤٩٥	٠	٥,٢٠٢,٦٠٠	٥,٢٠٢,٦٠٠
٢٠٠٤	٣,٨١٠,٦٥٤	١,٢٣٥,٥٠٠	٥,٠٤٦,١٥٤	٠	٥,٢٨٦,١٠٠	٥,٢٨٦,١٠٠
٢٠٠٥	٣,٩٨٦,٨١٣	١,٢٧٠,٠٠٠	٥,٢٥٦,٨١٣	٠	٥,٣٦٩,٦٠٠	٥,٣٦٩,٦٠٠
٢٠٠٦	٤,١٦٢,٩٧٢	١,٣٠٤,٥٠٠	٥,٤٦٧,٤٧٢	٠	٥,٤٥٣,١٠٠	٥,٤٥٣,١٠٠

وبالتالي، فإن العرب سيكون لهم الأغلبية السكانية إذ تم الاعتماد على الظروف الطبيعية، أي لم يكن هناك ظروف سياسية جديدة تسمح بجلب مهاجرين يهود جدد، أو حدث هناك لا سمح الله موجات من التهجير في حق السكان العرب، مقابل استيلاء على أراضي فلسطينية جديدة، لأن عوامل النمو

(٦٩) نقلاً عن يوسف كامل إبراهيم، مرجع سابق.

السكاني هي في صالح العرب دائماً، بنسبة (٤٪سنوياً) واليهود (١,٩٪سنويا)، وارتفاع معدلات الخصوبة (٦,١) للشعب الفلسطيني و(٢,١) لدي اليهود[٧٠].

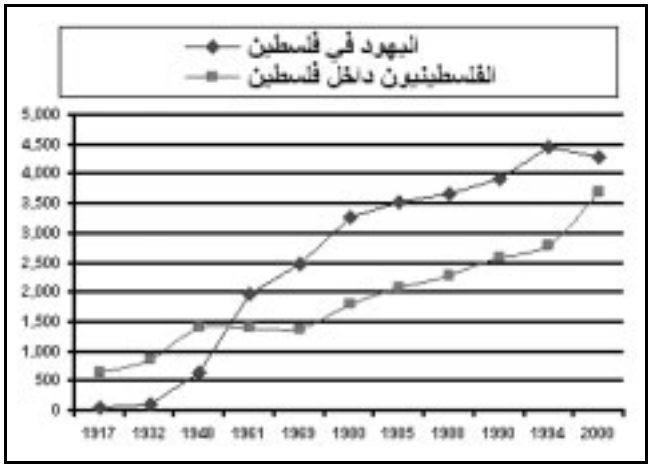

لذلك رفض الصهاينة المقترحات بإنشاء دولة واحدة في فلسطين ذات قوميتين، "صهيونية وعربية"، لأنها تمثل تهديداً لوضع الكيان في المستقبل كدولة لليهود، حيث أن الديموجرافية ستجعل اليهود أقلية في دولة غالبيتها من العرب.

وهذه الزيادة السكانية عند أبناء الشعب العربي المرابطين في فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، أرض المحشر والمنشر، تدخل ضمن ما يسمى بفقه الكفاية، وفي فقه علماء الشريعة: أن فقه الكفاية هو أن تقوم طائفة من هذه الأمة بواجب جماعي، يسقط إثمه عنهم وعن عموم الأمة، وهو خير من فرض العين الذي يلزم كل فرد، والسبب – كما يقول العلماء – أن فرض الكفاية يُسقط الحرج عمن قام به وعن عموم المسلمين، في حين أن فرض العين، يسقط الحرج عمن فعله فقط، كما ينقل النووي عن الجويني[٧١].

---

(٧٠) نقلاً عن يوسف كامل إبراهيم، مرجع سابق.
(٧١) النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ١٠/٢٢٦.

بل بالرغم من عمليّات القتل والإرهاب الصهيونيّ، فإن عدد الذكور الفلسطينيّين يفوقون عدد الإناث في الأراضي الفلسطينيّة، هذا ما شكّله تقريرٌ للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الذي يصدر دورياً عن الجهاز: أن عدد السكان المقدّر في الربع الثاني من العام ٢٠٠٤ في الأراضي الفلسطينية بلغ ٣,٨٠٥ ملايين نسمة، منهم ١,٩٢٨ مليون ذكر، و١,٨٧٧مليون أنثى، بنسبة جنس مقدارها ١٠٢,٧ ذكور لكلّ مائة أنثى(٧٢).

وشكّلت هذه المعطيات مفاجأة لأن الملاحظ أن نسبة الإناث الفلسطينيات تفوق الذكور بسبب الظروف التي تعيشها الأراضي الفلسطينية، وعمليات القتل والاغتيال والاعتقال المستمرّة.

وهنا، وفي هذا المقصد الأصلي، يجدر بنا التنبيه على مسألة التدبير الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة، أي التصرف أو التفكر في عاقبة الأمور، والنظر بتمعن في قضية استعداد الوالدين في التربية والنشئة، ستنعكس – بلا شك – على واقع المجتمع والدولة، كما كما يقول ابن خلدون ٨٠٨هـ "السياسة الحديثة هي: تدبير المنزل أو المدينة.." . وصار هذا المصطلح يستعمل في كثير من لغة السياسيين في توصيف الدولة، كما يقول ابن الربيع ٢٧٢هـ عن أركان المملكة: الملك والرعية، والعدل والتدبير(٧٣).

٣) عدم إقامة أي مشروع سلام على حساب اللاجئين الفلسطينيين، والوقوف ضد حملات الطرد الجماعي "ترانسفير".

كانت النظرة الصهيونية لفلسطين وسكانها، نظرة إحلال شعب مكان شعب، ومصادرة أرض بعد تشريد أهلها، وهي النظرة الإحلالية التي نادى بها ابن غوريون(٧٤)، أول رئيس وزراء صهيوني، وهي في الحقيقة: إبادة الشعب

---

(٧٢) نقلاً عن: الموقع الفلسطيني للمعلومات، بتاريخ ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤.

(٧٣) ٧٤ ابن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: حامد ربيع، (القاهرة: دار الشعب، ط ١٩٨٠م) ٤٠٧/٢.

(٧٤) لمزيد من التوسع حول مشاريع الطرد الجماعي في الفكر الصهيوني، انظر: محمود عبد الظاهر، مركزية مفهوم الترحيل والطرد في العقيدة الصهيونية، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٢).

العربي في فلسطين، كما عبر عن ذلك في القانون الدولي: جريمة الجرائم إبادة جنس بشري، Genocide، وهذا ما كان من الصهاينة بالفعل في عام النكبة، من قتل وتشريد لعرب الـ٤٨[٧٥].

وارتكب الصهاينة أكثر من (٣٥) مجزرة في حق الشعب الفلسطيني؛ كي يستولوا على أراضيهم، وبينت التقارير الصهيونية ذاتها أن ٨٩٪ من القرى العربية التي هُجرت بسبب عمل عسكري صهيوني، و١٠٪ بسبب الحرب النفسية، ١٪ بسبب فرار أهالي القرية[٧٦]، والشعب الفلسطيني يدفع فاتورة باهظة في شتات أبنائه عن موطنهم وديارهم، فعلى أقل التقديرات، فنسبة اللاجئين الفلسطينيين من مجموع الشعب الفلسطيني، – وأقصد باللاجئيين هنا عموم من طُرد من بيته، ولو ما زال يعيش في فلسطيني، ولكن في مخيمات – حوالي ٧٠٪[٧٧].

وبرزت العديد من المشاريع المشبوهة لتوطين اللاجئين خارج فلسطين المحتلة، ولقد استطاع الفلسطينيون بوعي جمعي لم يشهد له العالم مثيل إفشال أكثر من (٢٤٣) مشروعاً استيطانياً خارج فلسطين[٧٨].

إن الفكر الصهيوني قائم على طرد وترحيل Transfear الفلسطينيين خارج فلسطين، وقد استخدموا العنف "مجازر"، أو رعب نفسي "الهزائم المتتالية ضد العرب"، أو شراء ذمم أصحاب النفوس الضعيفة وإعطائهم امتيازات معيشية، "مثل التسهيلات الكثيرة في حصول العرب الفلسطينيين على جنسيات غربية ووضع معيشي أفضل[٧٩].

وللأسف ما زالت مشاريع التسوية بين منظمة التحرير أو السلطة

---

(٧٥) مجلة القدس، السنة الخامسة، العدد (٥٤)، يونيو ٢٠٠٣، ص٦٠.
(٧٦) اللاجئون الفلسطينيون بين الشتات والعودة، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ط١، ٢٠٠١)، ص٧.
(٧٧) محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص ١٢٦.
(٧٨) محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص ١٣٩.
(٧٩) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٥١٧.

الفلسطينية والعدو الصهيوني تراهن على استضعاف رأي اللاجئين، وقبولهم بالأمر الواقعي ضمن شروط التعويض المالي والتوطين، واتفاقية أوسلو ١٩٩٣، وما تبعها من اتفاقيات – كان آخرها اتفاقية جنيف ٢٠٠٣ – ما هي إلا صدى للمشاريع الصهيونية.

فاتفاقية أوسلو أدت إلى جلب أكثر من مليون مهاجر من الاتحاد السوفيتي السابق، واتسعت عمليات مصادرة الأراضي.

إن العمل على إلغاء ملف اللاجئين، يعني تشجيع الصهاينة على طرد ما تبقى من العرب، وإفساح المجال أمامهم في توسعة مشروعهم الاستعماري.

٤) استمرار المقاومة والأعمال المسلحة ضد الجيش والمستوطنين، سواء بسواء، لأن في ذلك مدعاة لهروب الصهاينة من الأرض المباركة.

استمرار المقاومة الفلسطينية وقدرتها على الصمود وإبداع أشكال جديدة هو أحد الشروط اللازمة للدفاع عن الحقوق الفلسطينية المشروعة والبرهنة على فداحة الثمن الذي يتعين على المستوطنين الصهاينة أن يتكبدوه إذا استمروا في إنكار هذه الحقوق أو إهدارها، فلقد وصلت نسبة القتل ما بين العرب والصهاينة في أعوام الانتفاضة إلى نسب متقاربة، أقل التقادير (٣) من العرب مقابل (١) صهيوني، وهذه النسبة في المدى الاستراتيجي خطرة جداً على المشروع الصهيوني، فضلاً على تأثيرها الواضح على عرقلة حملات الهجرة الوافدة.

وهذا الأمر ليس منحصراً في انتفاضة الأقصى، بل على مدار تاريخ الصراع العربي الصهيوني، فإن الأزمات المسلحة والقتال الدائر بين الطرفين، عمل على خفض الهجرة اليهودية، وهي العمود الأساسي لكثيرة الصهاينة في فلسطين المحتلة.

فمثلاً – على سبيل الاستدلال من القديم – فإن إضراب عام ١٩٣٦ والثورة الفلسطينية الكبرى أوقفت تيار الهجرة، فهبط عدد المهاجرين من ٣٠

ألف في العام ١٩٣٦ إلى ١١ ألف في العام ١٩٣٧، ثم أوقفت الهجرة إلى فلسطين وخاصة في العامين ١٩٤٠، ١٩٤١ حتى وصلت إلى ما يقرب من أربعة آلاف مهاجر في العام الواحد. لكن حين توقفت الحرب بين العرب والصهاينة، نرى الأرقام ترتفع ارتفاعاً شديداً، فقد بلغ مجموع المهاجرين اليهود ١٣٦,٦٠٠، ١ مهاجراً في الفترة ١٩٤٩ – ١٩٦٦[٨٠].

وحديثاً، وفي عصر انتفاضة الأقصى، نرى بالأرقام والإحصائيات تنازل عدد الصهاينة بصورة واضحة في عمليات الهجرة إلى بلاد المسلمين" فلسطين"، والجدول التالي يبين ذلك بوضوح:

عام ٢٠٠٠	عام ٢٠٠١	عام ٢٠٠٢	عام ٢٠٠٣	حتى منتصف عام ٢٠٠٤
٦٠ ألف	٤٤ ألف	٣٥ ألف	٢٤ ألف	٩ آلاف فقط

هذا الأمر دفع شارون إلى إقرار مخطط لرفع تعداد الكيان الصهيوني إلى ١٥ مليون يهودي لمحاربة الزيادة السكانية للشعب الفلسطيني داخل الكيان وخارجه[٨١].

في ظل هذه الأزمة الأمنية، برزت في المجتمع الصهيوني ظاهرة "الهجرة العكسية"، حيث أظهرت أكثر من إحصائية ومتابعة وتقرير أن الكثير من الصهاينة غادروا الكيان لتردي الأوضاع الأمنية، علماً أنه هاجر إلى الكيان الصهيوني حوالي مليون يهودي من بلاد الاتحاد السوفياتي خلال عقد التسعينات بسبب اتفاق أوسلو[٨٢].

وقد أفادت الإحصاءات أنه منذ بدء الانتفاضة خرج من الكيان الصهيوني

---

(٨٠) انظر: عبد الوهاب المسيري، الدولة الصهيونية في عامها السادس والخمسين، جريدة الاتحاد الإماراتية ٢٢ مايو ٢٠٠٤.

(٨١) الشرق الأوسط، ١٤ مارس ٢٠٠٤.

(٨٢) انظر: سامي الصالحي، ثمرات الانتفاضة، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، ط١، ٢٠٠٣)، ص٢٢.

حوالي مليون شخص، بل نشرت الصحف العبرية (في ٢١ سبتمبر ٢٠٠٤) معطيات تشير إلى حجم هجرة الصهاينة العكسيّة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، خلال أربعة وخمسين عاماً، فتبيّن أن عددهم بلغ ١٩٠ ألفاً و ٥١٩ شخصاً. ونقلت صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية عن بيري نوفوتني، وهو خبير صهيونيّ في موضوع الهجرة وتأشيرات الدخول إلى الولايات المتحدة قوله: إن نحو ١٩٥٠٠ صهيونيّ هاجروا إلى الولايات المتحدة خلال ثلاث سنوات من عمر "انتفاضة الأقصى"(٨٣).

وإن حملة وكالة الهجرة اليهودية "العليا – وهي تعني بالعبرية الهجرة – من أجل تهجير أكبر عدد من يهود الشتات إلى "إسرائيل"، لم تنجح في ظل عمليات الانتفاضة والمقاومة المسلحة.

والإيمان باستخدام القوة المفرطة ضد العدو أو الاحتلال أمرٌ مفروغ منه عند علماء السياسة الشرعية، كما جاء على لسان الجويني:" ولا يكاد يخفى جواز دفع الظلمة، وإن انتهى الدفع إلى شهر الأسلحة، فإن أجلى أصول الشريعة دفع المعتدين بأقصى الإمكان عن الاعتداء"(٨٤).

٥) ضرورة الدعم المالي العربي والإسلامي لتمكين المسلمين من التمسك بهويتهم وعدم الذوبان في المجتمع الصهيوني.

الدور والواجب على الشعوب العربية والإسلامية في دعم جهاد ونضال الشعب الفلسطيني، كما يجب على الأنظمة أن ترفض أي مشروع تسوية للاجئين الفلسطينيين، لأن في ذلك ضرراً بحقوق المسلمين.

يكفي أن المحيط بدولة الاحتلال هو محيط عربي إسلامي، وهذا ما يشكل بشرى خير في الدعم والتواصل مع أهل فلسطين لطرد المحتلين الصهاينة، وهذا معلم على مدى العلل والأوجاع التي تعشش في عقلية المحتل الصهيوني، فعوضاً

---

(٨٣) انظر: المركز الفلسطيني للإعلام، ، بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٤، انظر الموقع: www.palestine-info.

(٨٤) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٥١٧.

عن غربته عن ثقافة العرب والمسلمين، فهو في ذاته يحمل تيارات داخلية متصارعة، في ظل سكان عرب يتزايدون على حساب الوضع الجغرافي الضيق.

إن مساحة دولة الاحتلال تبلغ (٢٧) ألف كم، مقابل ١٢ مليون كم للبلاد العربية، وهي بهذا تدرك إدراكاً كبيراً أنها في خطر هائل، وأنها في يوم من الأيام ستدمر على أيدي المسلمين، فهي بأقل الحسابات تقع وسط ٤ بلدان عربية هي: مصر وسوريا والأردن ولبنان، وطول حدودها مع هذه الأقطار حوالي ٩٨٥كم، هذا فضلاً عن العرب الساكنين في أرض فلسطين التاريخية.

والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾، سورة الأنفال.

ولا خلاف عند العلماء على وجوب نصرة المسلمين في حالة استنصار المسلمين من خارج دار الإسلام لإخوانهم، والآن فلسطين بكل ما تحمل المعنى دار حرب وقتال.

وفي مقاصدنا الدينية وتراث سياستنا الشرعية أنه إذا " وطيء الكفار ديار الإسلام، فقد اتفق حملة الشريعة قاطبةً على أنه يتعين على المسلمين أن يخفوا ويطيروا إلى مُدافعتهم زرافاتٍ ووحدانا..، ويبادوا الجهاد على الاستبداد "[٨٥].

ولا بد أن يعود المسلمون إلى دينهم يوماً من أيام الله، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي السياسة الشرعية التي يعتمدها علماء الشريعة هناك مصطلح النصرة، وهو: حسن المعونة، والاستنصار: استمداد النصر، ونصرة المظلوم، يتكفل بذلك الإمام وأهل الشوكة وعموم المسلمين الذين لهم قدرة على نصرته، ونصرة أية فئة من فئات الأمة، حتى ولو كانوا أهل الذمة ما دام لهم حق المواطنة في الدولة الإسلامية، كما قال فقهاء الأحناف: "فيجب على الإمام نصرتهم –أهل الذمة– كما يجب عليه نصرة المسلمين... وإنما يجب علينا نصرتهم ودفع ظلم من هو من أهل دارنا عنهم "[٨٦].

---

(٨٥) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٢٥٩.

(٨٦) السرخسي، شرح كتاب السير الكبير تحقيق: صلاح الدين المنجد، (مطبعة مصر، ١٩٥٧م)، ٥/ ١٨٥٤.

٦) تأكيد دور الأقلية العربية في المجتمع الصهيوني، وأثرهم على المعادلة السكانية.

إن التزايد العددي للعرب في مناطق الـ٤٨، أو ما يطلق عليهم "عرب الداخل" سيمثل رافداً مهماً في تعجيل القضاء على الصهاينة، لا سيما إذا تحولوا إلى قوة منظمة وواعية على المستويين السياسي والاجتماعي، والحمد الله هناك نوع من الإرشاد والالتزام بالهوية العربية والإسلامية عند عرب الـ٤٨ بصورة تبشر بمستقبل خير.

وهذا ما دعا جون داوفتري – في مقال "هل تصبح "إسرائيل دولة عربية"، إلى القول: إن "البعض يعتقدون أن "إسرائيل" سوف تتحول قريباً إلى دولة عربية من كل الوجوه، ولن يبقى منها سوى الاسم"(٨٧).

إن العرب القاطنين في مناطق عام الـ٤٨، – وأغلبهم من المسلمين، – يشكلون – على أكثر من قراءة ودراسة – حوالي ٢٠٪ من حملة الجنسية الصهيونية، أي خمس عدد دولة الاحتلال، وهم يسكنون داخل المجتمع الصهيوني، وخطرهم يتصاعد بوضوح.

وتظهر البيانات المتوفرة حول الفلسطينيين المقيمين في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ لعام ٢٠٠٢ أنه مجتمع فتي، إذ بلغت نسبة الأفراد دون الخامسة عشر من العمر ٤١,٥٪، في حين بلغت نسبة الذين تبلغ أعمارهم ٦٥ سنة فأكثر ٣,٢٪. كما أشارت البيانات إلى أن متوسط حجم الأسرة الفلسطينية بلغ ٥,١ فردا. وبلغ معدل وفيات الرضع في العام ٢٠٠٢ للفلسطينيين في الكيان ٨,٦ حالة وفاة لكل ألف مولود حي، من جانب آخر بلغ معدل الخصوبة الكلي ٤,٦ مولود لكل امرأة في العام ٢٠٠٢، كما بلغ معدل المواليد الخام ٣٢,٩ مولود لكل ألف من السكان(٨٨).

وهذا ما حذر منه الباحث الصهيوني في الجغرافيا والديمغرافيا، بروفسور

---

(٨٧) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، رقم الحديث، (٣٧٥٤).
(٨٨) يوسف كامل إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين.

ارنون صوفر، إذ يقول: إن اسرائيل "تواجه كارثة ديمغرافية في ثلاث من أهم المناطق أصبح اليهود فيها أقلية، وهي: الجليل، حيث بات (فلسطينيو ٤٨) يشكلون نسبة ٤٥٪، وفي النقب، حيث العرب يبلغون ١٤٠ ألفاً، ولديهم أعلى نسبة ولادة في العالم٥١٪، وفي مدينة القدس ومحيطها"[٨٩].

وفي هذا السياق، لم يكن غريباً أن تواصل وسائل الإعلام الصهيونية المتطوعة لصالح ما يسمي الإجماع القومي الصهيوني نفث سمومها ضد كل ما هو عربي ومسلم؛ لتأليب الرأي العام في الدولة العبرية ضد فلسطينيي الداخل، من هذه صحيفة نوفوستي[٩٠]، وهي أكبر صحيفة صهيونية تصدر باللغة الروسية وتملكها عائلة موزيس، مالكة يومية يديعوت احرونوت العبرية، نادى الكاتب فيه بأن تقوم السلطات المختصة في الكيان بخصي المساجين العرب من مناطق الـ٤٨ الأمنيين والجنائيين علي حد سواء، وعرض مكافأة مالية للشباب الذين يوافقون علي الخصي بمحض إرادتهم ودون الزامهم علي ذلك.

وفي المقال المعنون: "كيف نضطرهم إلى المغادرة" يناصر الكاتب مريان بلانكي – وهو روسي الأصل، وأحد الاقلام البارزة في الصحيفة – خصي العرب الذين يتم القبض عليهم من قبل جهاز الأمن العام (الشاباك) حيث يمكن أن يصبح وسيلة نفسية قوية تستعملها التنظيمات اليهودية السرية لأثارة الهلع والخوف في نفوس السكان العرب في الدولة العبرية، وتشجيع هجرتهم من البلاد.

وبخصوص تحديد النسل عند العرب في مناطق الـ٤٨، يقترح أن تقوم السلطات الصهيونية ذات الشأن بتطبيق التجربة الصينية، التي تعتمد بالأساس على معاقبة الأباء الذين ينجبون أكثر من ولد واحد، بحرمانهم من المكافآت أو فصلهم من العمل وإرسال الأولاد إلى مدارس داخلية وإبعاد الأهل إلى أماكن نائية وبعيدة.

---

(٨٩) جريدة الشرق الأوسط، ٣ يناير ٢٠٠٤.

(٩٠) نقلاً عن جريدة القدس العربي، بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٤، انظر – كذلك – إلى: محمود عبد الظاهر، مركزية مفهوم الترحيل والطرد في العقيدة الصهيونية، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٢).

وإلى جانب الخطوات العقابية، يقترح توزيع وسائل لمنع الحمل على المواطنين العرب مجاناً، أو أن تقوم وزارة الصحة بخفض أسعار وسائل منع الحمل؛ ليتمكن العرب من شرائها، بالإضافة إلى إقامة جهاز لتبني الأولاد العرب؛ بهدف تركيزهم في مكان واحد، ومن ثم إعدادهم لنقلهم إلى الدول العربية المجاورة.

والأصل في عرب الـ٤٨، أن يعتمدوا أي شكل من الأشكال يغيظ الكفار ويفعلوه؛ لأن ذلك من الأسباب التي تدعو إليها أصول الشريعة ومقاصدها، والله عز وجل يقول ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ سورة التوبة، ١٢٠.

فيه: أن أي عمل يمارس يبتغى به وجه الله ونصرة الإسلام، كتب لصاحبه عملٌ صالح، وهنا نؤكد على أن ذلك يدخل ضمن فروض الكفاية، لعموم الأقلية العربية، مع ضرورة اصطحاب النية في ذلك، لأن المباحات تصير طاعات بالنيات الخالصة والصادقة.

٧) ضرورة زيادة التلاحم والتكافل بين الشعب الفلسطيني في ظل بروز عوامل التمزق والتناحر في المجتمع اليهودي وزيادة الجرائم فيه.

وهنا يتحتم على القائمين على مشروع التحرير أن ينتبهوا لضرورة التأكيد على معاني الوحدة والتلاحم بين فئات الشعب جميعاً، مع ضرورة التحريم القطعي لأي مواجهة داخلية بين أفراد الشعب الواحد، وهو ما يعبر عنه إعلامياً بـ" الحرب الأهلية"، والتي قد وصلت في بعض الأحيان إلى الاقتتال بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد.

وأي اقتتال من هذا النوع، فيه تعطيل لمقصد النسل، فضلاً عن الأضرار التي يلحقها بجوانب متعددة في القضية الفلسطينية.

ولا يخرج معنى التكافل عن التضامن والإعالة والرعاية، ويتنوع التكافل إلى ما هو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو في أي مجال من مجالات الحياة، وهذا موجود كله في كتب الشريعة، بيد أن الفقهاء اهتموا بالتكافل الاجتماعي كل الاهتمام وهذا واضح في عباراتهم مثل قولهم "من فروض الكفاية دفع ضرر المسلمين"(٩١)، وقد عبر ابن تيمية ٧٢٨هـ والشاطبي ٧٩٠هـ وابن خلدون ٨٠٨هـ، عن هذا المصطلح بالتعاون، يقول أولهم:"وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالإجماع والتعاون والتناصر"(٩٢).

والذي يتدبر كلام الفقهاء عن مدلول هذا المصطلح يرى اهتمامهم البالغ، من ذلك: قول الجويني ٤٧٨هـ: "إذا ألمت ملمة واقتضى إلمامها مالاً، فإن كان في بيت المال مال استمدت كفايتها من ذلك المال، وإن لم يكن في بيت المال نزلت على كافة المسلمين"، بل يرى أن الملمة إذا أصابت مسلماً فقيراً "فالدنيا بحذافيرها لا تعدل تضرر فقير من فقراء المسلمين في ضُر"(٩٣).

ولقد عمد الصهاينة بكل خبث ودهاء، إلى التضييق على السكان العرب في المأكل والمسكن والمال، والهدف هو خلق البطالة والفقر، حتى يفكر العرب بالمغادرة لخارج ديارهم، مع منحهم تسهيلات عديدة للمغادرة.

وكما يقول النووي: "ما يتعلق بمصالح المعايش وانتظام أمور الناس، كدفع

---

(٩١) يقول الغزالي: "ما يتعلق بالمعاش كدفع الضرر عن محاويج المسلمين وإزالة فاقتهم فإن بقيت ضرورة بعد تفرقة الزكوات كانت إزالتها فرض كفاية". الغزالي، الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد إبراهيم، (القاهرة: دار السلام للنشر، ط ١، ١٩٩٧)، ٦/٧.

(٩٢) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، تحقيق: سيد أبي سعدة، (الكويت: دار الأرقم، ط١، ١٩٨٣م)، ص٩، أيضاً كتابه الموسوعي: مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، (الرياض، ط١، ١٣٩٨هـ)، ٢٦/٢٨.

(٩٣) انظر: الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٢٧٧، وفقرة رقم ٣٣٨، انظر – أيضاً – ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار البنداري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، ١٥٦/٦، رقم المسألة (٧٢٥).

الضرر عن المسلمين، وإزالة فاقتهم، كستر العورة وإطعام الجائعين، وإغاثة المستغيثين في النائبات، فكل ذلك فرض كفاية في حق أصحاب الثروة والقدرة"[٩٤].

في المقابل، نرى أن "شعب الله المختار" كما يزعم الصهاينة، والميزات التي يحملها هذا الصنف من البشر، ما هي إلا رؤى صهيونية دعائية استعلائية على الأمم، وفي حقيقة الأمر ما هم إلا حثالة البشر والمفسدين الذين ما زال القرآن يصفهم بها ستبقى تلازمهم حتى تقوم الساعة، قال الله عز وجل عنهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾، سورة المائدة، ٦٠.

وهذا الخطاب لم يكن يوماً من الأيام خطاباً دينياً على النسق الوعظي، بل هو حقيقة عاشها اليهود على مر الأزمان، فاليهود ينقسمون اليوم من الناحية الاجتماعية إلى طبقات، أبرزهم اليهود "الاشكنازيم"، مقابل اليهود "السفارديم"، وغير ذلك من الخليط من القوميات والأعراق المتعددة، لا يجمعهم سوى عداوة العرب والمسلمين، وواقعهم الداخلي ممزق، والبأس بينهم شديد، كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾، سورة الحشر، ١٤.

هذا فضلاً على أن الوسط الاجتماعي الصهيوني هو وسط فيه من الجرائم الاجتماعية ما يجعله مؤهلاً للتصدع والسقوط من الداخل كمجتمع ليس له خصوصيته؛ تثبت ذلك الأرقام والإحصائيات: فظاهرة تناول المخدرات، لخصتها اللجنة البرلمانية الصهيونية لشؤون المخدرات بأن "إسرائيل مغمورة بالمخدرات"، فهناك (٣٠٠) ألف شخص في كيان العدو تعاطوا المخدرات في حياتهم[٩٥].

---

(٩٤) النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ١٠/٢٢١.

(٩٥) جريدة الشرق الأوسط، ١ أغسطس ٢٠٠٤، أيضاً جريدة القدس العربي، ٦ يناير ٢٠٠٤.

أما ظاهرة الانتحار: فهي الأخرى في تزايد، ففي تقرير صهيوني: أن الأوضاع الأمنية المتردية وتعاطي المخدرات والعادات الشاذة والضغوط المالية تدفع بـ ١٣ ٪ من الشباب الصهيوني للتفكير بالانتحار، وأن حالات الانتحار تضاعفت أكثر من ثلاث مرات خلال السنوات العشر الماضية.

أما نسبة الجرائم: فهي في تصاعد، فقد أشارت صحيفة يديعوت أحرونوت ١١ ديسمبر ٢٠٠٣، أنه خلال سنة ٢٠٠٤ تم فتح ٣٣ ألف ملف عنف لأبناء الشبيبة، منهم ٦٠٪ كانوا طرفا في العنف، و١٩٪ من التلميذات في المراحل الأساسية يبلغن عن تعرضهن لتحرشات جنسية(٩٦)، ولفتت الشرطة إلى وجود ٤٨ عصابة منظمة تضم برأيها ٨٥٠ عضواً(٩٧).

٨) التصدي لمحاولات الإسقاط اللاأخلاقية ووسائل الفساد في المجتمع العربي، والتي يديرها ويشرف عليها الصهاينة؛ لأن فيها عرقلة لمقصد النسل.

الأصل في اليهود أنهم قوم فساد ورذيلة على مر الأزمان والأماكن، والنصوص القرآنية الواردة في حقهم تمثل كليات يقينية في معناها، وهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ سورة المائدة، ٦٤، وقوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ سورة المائدة، ٧٨.

والأنباء الواردة من الأراضي المحتلة، تشير إلى الدور الكبير الذي قامت به أجهزة المخابرات الصهيونية قديماً، وما زالت تمارسه من نشر الرذيلة والفواحش بين صفوف المسلمين داخل وخارج فلسطين المحتلة.

مثل إسقاط العملاء لأول مرة، باستخدام أسلوب الجنس، وغير ذلك من

---

(٩٦) يوسف إبراهيم، الكيان الصهيوني من الداخل ملامح وصور الانهيار الاجتماعي (انهيار الأخلاق)، نقلاً عن موقع باحث للدراسات، انظر: www.bahethcenter.org

(٩٧) جريدة الشرق الأوسط، ١٦ فبراير ٢٠٠٤.

الأساليب والوسائل الفاسدة، إلى بث المومسات الصهيونيات المصابات بمرض الأيدز في بلاد العرب والمسلمين.

ولقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع، لتعرضهم لعرض مسلمة، فقد ذكر أهل الحديث والسيرة، أن بني قينقاع كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم موادعة وعهد، فأتت امرأة من الأنصار إلى صائغ منهم ليصوغ لها حليا، وكانت اليهود معادية للأنصار، فلما جلست عند الصائغ عمد إلى بعض حدائده فشد به أسفل ذيلها وجيبها وهي لا تشعر، فلما قامت المرأة وهي في سوقهم، نظروا إليها منكشفة فجعلوا يضحكون منها ويسخرون، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنابذهم، وجعل ذلك منهم نقضا للعهد(٩٨).

ولقد صح في الإسلام وأصوله وتراثه الأصيل، أن " الأعراض حرمات الله في الأرض، لا سبيل إلى اباحتها بأي حال، سواء عرض الرجل أو عرض غيره "(٩٩).

وكما يقول ابن نجيم:" الأصل في الأبضاع التحريم"(١٠٠)، فما هو الحكم عندما يتعدى الصهاينة على أعراض المسلمين والمسلمات، في سجونهم، حيث يمارسون كل ما فيه أذى وإذلال في كسر روح المعتقل أو المعتقلة.

المخطط التالي يبين المقاصد الأصيلة التي يجب مراعاتها في عملية الحفاظ على المقصد النسل في شؤون القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني.

---

(٩٨) سنن البيهقي، كتاب الجزية، باب يشترط عليهم أن أحداً من رجالهم إن أصاب مسلمة بزنا أو اسم نكاح.

(٩٩) محمد هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية١، /٦٤٣.

(١٠٠) ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص٧٤.

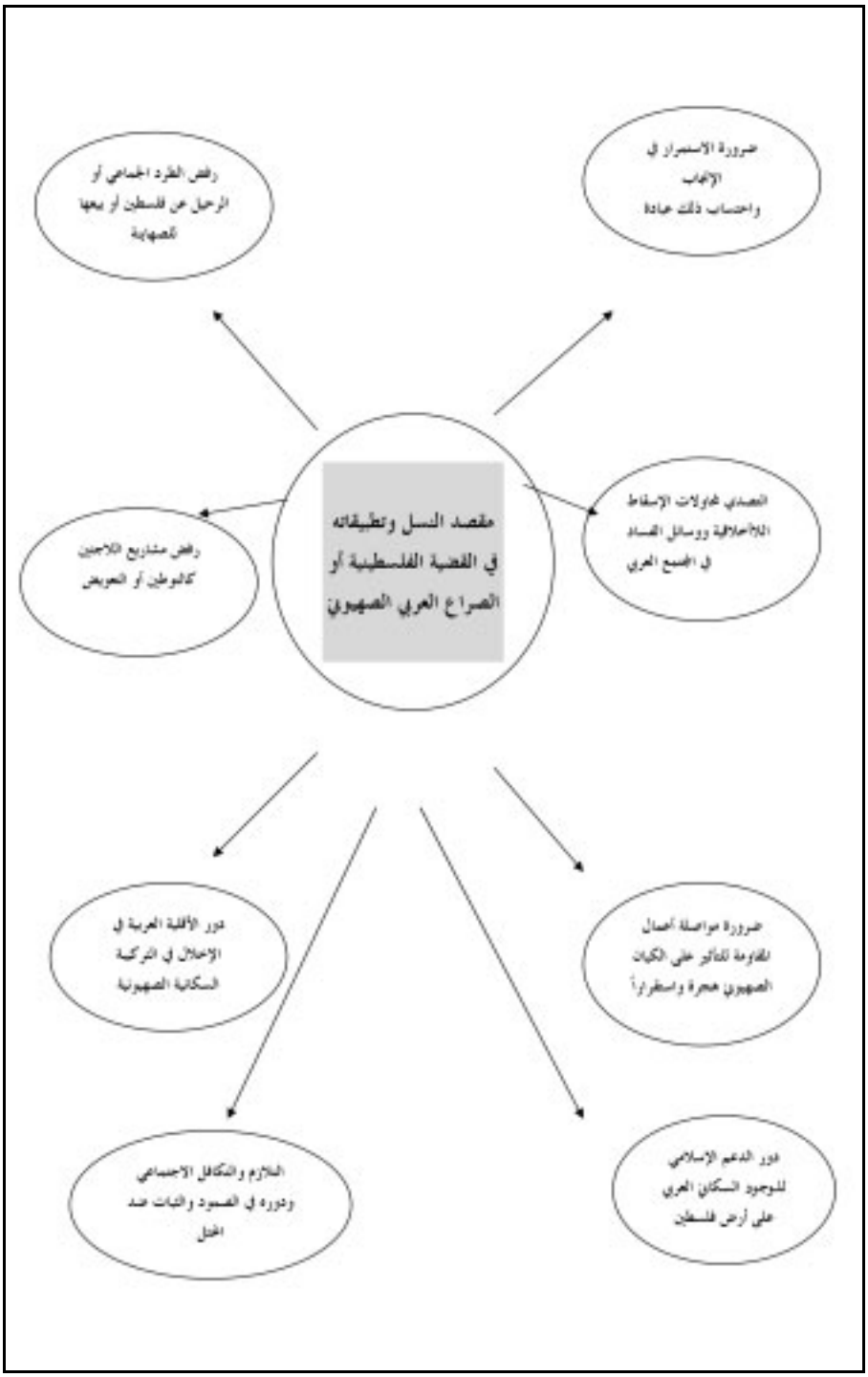
مقصد النسل وتطبيقاته في القضية الفلسطينية أو الصراع العربي الصهيوني
ضرورة الاستمرار في الإنجاب واحتساب ذلك عبادة
التصدي لمحاولات الإسقاط الأخلاقية ووسائل الفساد في المجتمع العربي
ضرورة مواصلة أعمال المقاومة للتأثير على الكيان الصهيوني هجرة واستقراراً
دور الدعم الإسلامي للوجود السكاني العربي على أرض فلسطين
التلازم والتكافل الاجتماعي ودوره في الصمود والثبات ضد الخطل
دور الأقلية العربية في الإخلال في التركيبة السكانية الصهيونية
رفض مشاريع اللاجئين كالتوطين أو التعويض
رفض الطرد الجماعي أو الرحيل عن فلسطين أو بيعها للصهاينة

الخاتمة

وبعد هذا الدمج بين مقاصد الشريعة وإشكاليات قضايانا السياسية، والتي يراها الباحث مهمة في ترتيب أوليات نظراتنا السياسية للأحداث والوقائع، نقف الآن؛ لنختم هذه الدراسة ببعض الملاحظات الختامية، والتي من أبرزها:

١) ضرورة الجمع بين المقاصد الشرعية والقضايا السياسية الإسلامية المعاصرة، نظراً لأهمية ذلك على معطيات الواقع السياسي ومتطلباته.

٢) التأكيد على أهمية الباحثين الشرعيين السياسين، القائمين على الدمج بين علم المقاصد الشرعية والعلوم السياسية، ولعل كلام الجويني واضح، ولأن "الجمع بين مقاصد ذوي الإيالة وموافقة الشريعة"، لا تكون إلا لمن "وَفَرَ حظه من العلوم، ودُفع إلى مضايق الحقائق"(١٠١).

٣) بعد قراءة لموضوع النزاع السكاني بين العرب والصهاينة، تبيَّن أنه بحلول عام ٢٠٠٦، سيصبح عدد السكان العرب (٥,٤٦٧,٤٧٢) مليوناً، مقابل اليهود (٥,٤٥٣,١٠٠)، وهذا مرده – فلسطينياً – للزيادة الطبيعية، مقابل اعتماد اليهود على الهجرة القادمة من جميع أنحاء العالم.

٤) هناك فشل واضح في المشروع الصهيوني في جلب موارد بشرية جديدة، مقابل عجز عن إيقاف الزيادة السكانية للمواطنين العرب الأصليين.

٥) لم يتحقق للصهاينة – إلى يومنا – تحويل الأراضي المحتلة إلى مركز تجمع صهيوني ثقافي، والأسباب المانعة كثيرة، أبرزها: المقاومة المسلحة، والزيادة السكانية عند العرب.

٦) هناك عدة مقاصد أصلية في الصراع العربي الصهيوني، يجب التأكيد عليها ونحن نخوض حرب التحرير ضد الصهاينة، ومشروعهم الاستعماري في المنطقة العربية.

وفي النهاية، نقول كما قال الجويني رحمه الله:

" فرحم الله ناظراً انتهى إلى هذا المنتهى، فجعل جزاءنا منه دعوة بخير"(١٠٢).

---

(١٠١) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٢٣١.

(١٠٢) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص٧٢.

ثبت المراجع

- الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، (قطر: مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ). أحمد الريسوني، من أعلام الفكر المقاصدي، (بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠٣).
- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرحه: عبد الله دراز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.ت.).
- ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق: نزيه حماد وعيسى ضميرية، (دمشق: دار القلم، ط١، ٢٠٠٠).
- ابن نجيم، الأشباه والنظائر، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٩٩٩).
- محمد الوكيلي، فقه الأولويات، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٧).
- جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠١).
- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه سعد، (بيروت: دار الجليل، ١٩٧٣م).
- سيف عبد الفتاح، المدخل المقاصدي وفقه الواقع، ضمن بحوث مؤتمر (نحو فقه سديد لواقع أمتنا المعاصر)، (الإمارات: مركز بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٣).
- محسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، (ماليزيا، دار الفجر، ط١، ٢٠٠٣).
- يوسف إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، نقلاً عن موقع باحث: www.bahethcenter.org
- عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠١).

- ابن عاشور، مقاصد الشريعة، تحقيق: محمد الميساوي، (عمان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١).
- يوسف العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، (القاهرة: دار الحديث، ط.ت).
- يوسف البدوي، مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن تيمية، (عمان: دار النفائس، ط١، ٢٠٠٠).
- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: محمد الأشقر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧).
- سامي الصلاحات، القطع والظن في الفكر الأصولي، (الكويت، مكتبة الفلاح للتوزيع، ط١، ٢٠٠٣).
- الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٤، ١٩٩٥).
- المجددي، قواعد الفقه، (باكستان: لجنة النقابة والنشر، ط١، ١٩٦١م).
- الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، راجعه: عبد الرؤوف سعد، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٣).
- ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ابن القيم، بدائع الفوائد، (بيروت:دار الكتاب العربي، ط.ت.)، ١١٧/٣.
- الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: السيد سابق، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط.ت.).
- الشاطبي، الاعتصام، (بيروت: دار المعرفة للنشر، ١٩٨٢).
- أمين هويدي، المشكلة السكانية والأمن الإسرائيلي، صحيفة الأهرام ١٠ فبراير ٢٠٠٤، نقلاً عن الموقع الفلسطيني للإعلام.
- عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٢).
- إسماعيل الصمادي، الانتفاضة تساهم في اضمحلال الشعب اليهودي، جريدة الوطن القطرية ٧ أكتوبر ٢٠٠٣.

- أشرف سلفيتي، ثلث عدد المهاجرين إلى "إسرائيل" غير يهود، جريدة البيان الإماراتية ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٢.
- طه العلواني، مقاصد الشريعة، (بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠١)، ١٣٥.
- النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٩١).
- ابن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: حامد ربيع، (القاهرة: دار الشعب، ط ١٩٨٠م).
- محمود عبد الظاهر، مركزية مفهوم الترحيل والطرد في العقيدة الصهيونية، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٢).
- مجلة القدس، السنة الخامسة، العدد (٥٤)، يونيو ٢٠٠٣.
- اللاجئون الفلسطينيون بين الشتات والعودة، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ط١، ٢٠٠١).
- سامي الصالحي، ثمرات الانتفاضة، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، ط١، ٢٠٠٣).
- السرخسي، شرح كتاب السير الكبير تحقيق: صلاح الدين المنجد، (مطبعة مصر، ١٩٥٧م).
- الغزالي، الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد إبراهيم، (القاهرة: دار السلام للنشر، ط ١، ١٩٩٧).
- ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، تحقيق: سيد أبي سعدة، (الكويت: دار الأرقم، ط١، ١٩٨٣م).
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، (الرياض، ط١، ١٣٩٨هـ).
- ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار البنداري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨).
- يوسف إبراهيم، الكيان الصهيوني من الداخل ملامح وصور الانهيار الاجتماعي (انهيار الأخلاق)، نقلاً عن موقع باحث للدراسات، انظر: www.bahethcenter.org